المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٩ — المواقق ١٠ ربيع اول سنة ١٣٢٧

الشؤون العثمانية

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة ما جرى في سقوط وزارة كامل باشا وقيام وزارة حلمي باشا حسب رغبة مجلس المبعوثان. وقلنا في ختام ذلك "ان مجلس المبعوثان تسلح بالدستور الثاني واسقط الوزارة سواء كانت تستحق ذلك او لا تستحقهُ فاستدعى جلالة السلطان رجلاً يرضى بهِ مجلس المبعوثان وكلفهُ تشكيل وزارة جديدة وقد تمَّ ذلك كلهُ طبقاً للقانون كأنهُ جرى في انكلترا اقدم البلدان في الجري على الحكم الدستوري وهذا ما تتمناهُ كل امة تريد ان يكون حكمها في يد نوابها"

ثم نشرت جريدة الطان حديثاً لمكاتبها في سلانيك مع الدكتور نظيم بك من كبار اعضاء لجنة الاتحاد والترقي اخبرهُ فيهِ بما يأتي عن سقوط وزارة كامل باشا وقد نشرناهُ برمتهِ في المقطم وها نحن موردون خلاصتهُ هنا لانهُ جلا امرًا غامضاً وبرأ لجنة الاتحاد والترقي مما اتهمت بهِ وبررها في عملها قال

"لما توصلت لجنة الاتحاد والترقي الى اعادة الاحكام الدستورية وقرَّ قرارها على ان لا تستلم مقاليد الحكومة بنفسها اضطرت ان تبحث عن سياسي يقوم بمقتضى الحالة حينئذٍ فلم تكد تجد لدوه الخط من تضع فيهِ بعض ثقتها الاَّ كامل باشا الذي كان السلطان قد انصاهُ عن الاستانة وجعلهُ والياً على ازمير. فلم يمتنع عن قبول منصب الصدارة الثقيل الاعباء مع طعنهِ في السن ولم يعترض السلطان على تعيينهِ لان المشاكل الداخلية والخارجية كانت كبيرة وكان كامل باشا معروفاً بالدهاء السياسي. غير ان سعيد باشا ابتهُ تصرَّف تصرفاً اضطر لجنة الاتحاد والترقي ان تطلب من والدهِ ان يبعدهُ عن الاستانة ولكن كامل باشا

يحب ابنهُ حبًّا شديد فرفض طلب اللجنة رفضاً باتًّا وهذا السبب الحقيقي في الخلاف بين لجنة الاتحاد والترقي والصدر الاعظم وفي اظهار كامل باشا للاستياء وعدم الرضاء - فجعل يشكو من انهُ غير حرفي التصرف - ثم رفض ان يدعو مندوبي لجنة البلقان في لندن الى مأدبة حين مرورهم بالاستانة - فلما اتصل بالسلطان خبر رفضهِ هذا استدعاهُ اليهِ وكلفهُ بحضور ثلاثة من مندوبي لجنة الاتحاد والترقي مظهراً رغبتهُ في ايداب تلك المأدبة تحت رئاستهِ فاذعن كامل باشا حينئذٍ ثم خاطب مندوبينا قائلاً "انكم تنسبون الفضل في اعادة النظام الدستوري الى انفسكم وحدكم دون سواكم مع اننا مديونون بهِ الى فضل جلالة السلطان" فاجابهُ احد مندوبينا قائلاً "انك تقول ما تقولهُ لتملق السلطان علماً منك ان كلماتك هذه ستنقل اليهِ والاَّ فانك تعلم حق العلم كيف جرت الحوادث في يوليو الماضي" . ووقع كلام كامل باشا هذا وقعاً اليماً في نفوسنا . وبعد ايام عقد اعضاء لجنة الاتحاد والترقي جلسة غير اعتيادية للنظر في الاحوال لانها جعلت تسوء وتظلم في داخل البلاد بسبب المطاعن التي كانت تنشرها جرائد ساقطة المبادىء والاراجيف التي كانت تشاع عن مؤامرة لاهلاك الاجانب وكذلك ساءت في الخارج بما كان يشاع عن صعوبة الاتفاق مع النمسا والبلغار . ثم ابلغونا على وجه شبيه بالرسمي انهُ اذا اضطر كامل باشا الى الاستعفاء لم تؤمن العاقبة لاننا نفقد ثقة اوربا بنا حتماً . ولذلك دامت جلستنا طويلاً وتدبرنا الاحوال من كل وجوهها بأنٍّ ومكون ورباطة جاش واتفقنا على ان واجباتنا الوطنية تقضي علينا بترك حرية التصرف التامة للصدر الاعظم فيبقى مطلق التصرف تام الحرية في آرائهِ واعمالهِ ولكن مع مراقبتهِ مراقبة شديدة

وهذا الامر الذي نعلمهُ عن اخلاص وحب لوطننا (لان مجلس المبعوثان لم يكن قد عقد بعد وكنا نريد ان نسير حسب الاحكام الدستورية) عدهُ كامل باشا دليلاً على ضعفنا وظن ان اليد قد خلا لهُ ليفعل ما يشاء بلا محاسب ولا مراقب . وانت تعلم ما جرى بعد ذلك بامر نشارتي الحرية والحجرية وانتزاع مجلس المبعوثان الذي كانت الاكثرية فيهِ ضدهُ . وكنا يشيعون في اروقة المجلس اشاعات مفزعة عن التأثير الذي سيؤثرهُ سقوط كامل باشا في اوربا ولكن المجلس لم يتردد مع ذلك في القيام بواجباتهِ والسلطان نفسهُ قبل قرار ذلك المجلس العالي وتصرف تصرف الملك الدستوري مع ان دستور سنة ١٨٧٦ يعطيهِ حق المعارضة في ما يقرر عليهِ قرار المجلس في مثل تلك الاحوال

ومما تقدم ترى ان لجنة الاتحاد والترقي لم تجاوز حدود حقوقها وواجباتها . فالواجب

عليها ان تستمر على السير والمراقبة مدة طويلة بعد . واقول لك اننا سنقوم باعباء هذه المهمة التي اخذناها على عاتقنا وامثالنا وطيد ان الجرائد الفرنسوية تبسط الحقيقة لكي يعلمها الرأي العام ولا تجوز عليهِ الاراجيف والاوهام "

وسواء خلا هذا الحديث من كل مبالغة او لم يخلُ فالامر مؤكد ان وزارة حلمي باشا سارت سيرًا حسنًا حتى الآن فامضي الاتفاق مع النمسا على القرض المالي الذي تدفعهُ لتركيا وسائر الشروط المتعلقة بذلك . وعادت المصافاة بين دولتنا العلية ودولة النمسا الى سابق عهدها وابطل العثمانيون مقاطعة البضائع النمسوية وقد كان هذه المقاطعة او المحاربة التجارية الشأن الاكبر في تسوية الخلاف بين الدولتين وتم الاتفاق مع البلغار على ان روميا تتنازل لتركيا عن قسط الغرامة السنوية وهو ٣٥٠ الف ليرة عثمانية مدة اربعين سنة وذلك بمثابة اعطاء دولتنا خمسة ملايين او ستة ملايين من الجنيهات . ولما رأى المجلس ان اعمالهُ كثيرة والزمن المحدَّد لاجتماعهِ قصير طلب تطويلهُ فاطيل ثلاثة اشهر

ومن اهم اعمال الوزارة الحالية عمل ميزانية لدخل الحكومة وخرجها اي ايراداتها ومصروفاتها لسنة ١٣٢٥ المالية التي تبتدئ من شهر مارس الرومي فقدرت الايرادات بمبلغ ٢٥ ٣٩٤ ١٥٣ ليرة عثمانية والمصروفات بمبلغ ٢٩ ١٠٠ ٣٣٢ فتقل الايرادات عن المصروفات مبلغ ٣ ٨٠٦ ١٧٠ او نحو اربعة ملايين من الليرات . ولقد كان المأثور ان ميزانية الايرادات لا تجاوز سبعة عشر مليونًا من الليرات وان المأمورين يبتزون من الامة ما يمائلها فلا يتعذَّر على الامة ان تدفع خمسة وعشرين مليونًا في السنة بل ثلاثين مليونًا وهو ذا القطر المصري قد دفع لحكومتهِ في العام الماضي ١٥ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات او نحو ثمانية عشر مليونًا من الليرات العثمانية وسكانهُ اقل من ١٢ مليونًا وسكان الولايات العثمانية اكثر من ٢٥ مليونًا فلا يكثر عليهم والحالة هذه ان يدفعوا لحكومتهم ٤٠ مليونًا من الليرات اذا تمتعوا بحكومة ساهرة على مصالحهم وساعية في ترقية شؤونهم

ومن اهم اعمالها ايضًا الاعتماد باستخدام ابناء العرب اي المتكلمين بالعربيَّة في مناصب الحكومة السامية فعينت عارف بك المارديني واليًا على البصرة لكنها لم تنصف المتكلمين بالعربيَّة حتى الآن كما يجب عليها . واقلُّ ما ينتظر منها ان تنظر الى كفاءة الرجال لا الى جنسهم ولغتهم فانها اذا فعلت ذلك فالنجاح محقق لها والاَّ زادت الحالة سوءًا ولن تبلغ بلادنا ما تبتغاهُ ولو مرَّت عليها السنون الطوال

مزارع النمل وفنادقهُ

ابان الشهير دارون ان لدود الارض المعروف بالخراطين شأناً كبيراً في توليد التربة في البلدان الباردة والمعتدلة وعليها يتوقف خصب تلك الاراضي. وابان غير واحد ان للنمل شأناً كبيراً في خصب الارض في البلدان الحارة. وبالامس اثبت بعضهم ان الطمي يصل الى ماء النيل من بيوت الطين التي يبنيها النمل في بلاد الحبشة. وفي اميركا الجنوبية نمل آخر يقطع اوراق الاشجار ويزرقها و يستخدمها مزارع للفطر ثم تُهمل وتعود الى الارض وتزيد بها التربة ويزيد الخصب

وهذا النمل كثير في حراج اميركا الجنوبية وهو يدأب على العمل بهمة لا يعتريها الملل وقد اشرنا اليهِ في المجلد السابع عشر من المقتطف اي منذ ست عشرة سنة حيث قلنا مانصهُ

"ذكر العالم تورانهُ رأى قريتين من قرى هذا النمل ورأى النملة تذهب وتقطع قطعاً صغيرة من اوراق النبات وتحملها الى قريتها وتلقيها فيها فتتناولها العمال الكبار منها وتقبل عليها بألسنتها وشفارها وايديها تلحسها وتدعكها دعكاً الى ان تصير كل قطعة منها كرة صغيرة كحبة البندق او اصغر الى ما يساوي حبة الطرطل فتضعها بعضها بجانب بعض بقرب مكان من قريتها فيهِ فطر مزروع وتأتي العمال الصغار بقطع من هذا الفطر وتزرعها في هذه الكرات متفرقة لكي لا ينمحق بعضها بعضاً حينما تنمو فلا تمضي اربعون ساعة حتى تكتسي الكرات بالفطر الابيض فتغتذي منهُ وتطعم صغارها"

وذكر العالم توما بلت انهُ رأى جيشين كبيرين من هذا النمل احدهما ذاهب من قريتهِ الى الغاب والآخر راجع من الغاب حامل قطع الاوراق فتخرج النملة من القرية وتعدو مسرعة الى الغاب وتصعد على الشجرة وتقطع جانباً من اول ورقة تصل اليها وتنزل بهِ وتعود الى القرية لا تلوي على احد. ولا يمضي وقت طويل حتى تتعرى الشجرة من ورقها لكثرة النمل وسرعة حركتهِ. وقد وجد العالم مولر ان النمل لا يكتفي بعمل هذه المزارع وزرع الفطر فيها بل يخصُّها بنوع مخصوص من الفطر وهو الذي يغتذي بهِ واذا وقعت عليها بزور فطر آخر ونبتت فيها انتلعها منها حالاً. والنمل الذي يفعل ذلك هو غير النمل الذي يقطع الاوراق ويجلبها الى قريتهِ. اي ان هذا النمل جارٍ على ناموس تقسيم الاعمال فيختص بعضهُ بعمل وبعضهُ بعمل آخر. وضع مولر مزرعة من مزارع هذا النمل في اناء من الزجاج لكي يراقب حركاتهِ واعمالهُ ووضع معها نملاً قليلاً من النمل الذي يعتني بالمزرعة فنبت فيها الفطر الذي لاحاجة

لهُ به فبادر اليهِ حالاً وجعل يقطعهُ ولكنهُ كان قليلاً كما تقدم فكثر القطر وصار مثل ثاب حول المزرعة حتى ضاق بهِ النمل ذرعاً

وقد ثبت من بحث مكفرلان في كل قرية من قرى هذا النمل ثلاث فرق او طوائف . طائفة تقطع الورق وتحملهُ وتجلبهُ الى القرية . وفرقة تمهد الطريق التي تسير فيها قطاعة الورق . وفرقة تصنع المزارع من الورق وتزرع فيها الفطر الذي يصلح لطعامها وتقتلع منها الفطر الذي لا يصلح اذا نبت فيها

ومن النمل اصناف تصنع مزارعها من الخشب البالي لا من اوراق الاشجار فتبني قراها في جذوع الاشجار النخرة وتصنع المزارع من خشبها ومن مبرزات الحشرات التي تنخرها

ومن يرى النمل يقطع اوراق الاشجار ويعريها منها يعجب كيف تبقى اشجار مورقة في البلاد التي يكثر فيها هذا النمل . لكن بعض الشجر يتقي النمل بما فيهِ من المادة الصمغية او الراتينجية او بصقال اوراقهِ لان النمل يزلق عليها ولا يستطيع الوقوف لقطعها . وبعضهُ يتقيهِ بواسطة النمل المحارب الذي يبني قراهُ في جذوعهِ فان هذا النمل يحارب النمل الزارع الذي يقطع الاوراق ويمنعهُ من قطعها . والنمل المحارب من اشرس الحشرات وهو يسير في جيوش جرارة فتهرب الحيوانات الكبيرة من وجهها ولا يسلم منها الانسان . قال بانتس في كتابهِ عن نمل الامازون ان الطيور تدري بقدوم جيش النمل المحارب فتنشر اجنحتها للرياح وتلجأ الى الفرار ويرى الخنود ذلك فيهربون ايضاً واذا كان هنالك اوربي ولم يقتد بهم هجم النمل عليهِ حالاً وغطى بدنهُ من رأسهِ الى اخمص قدميهِ واوسعهُ لسعاً ولذلك تخشاهُ سائر انواع النمل ولا تدنو من شجرة تراهُ ممششاً فيها

والظاهر ان الشجر الذي يرى في النمل المحارب واقياً لهُ من النمل الزارع يجعل جوفهُ مضيفاً للنمل المحارب او فندقاً او خاناً لهُ . لكن النمل المحارب لا يحتمل البرد الشديد فاذا قرهُ البرد لم يعد قادراً على محاربة النمل الزارع ووقاية الاشجار منهُ فيهجم عليها النمل الزارع ويعريها من ورقها

قلنا ان هذا الشجر يجعل جوفهُ فندقاً او خاناً للنمل المحارب وهذا الكلام حقيقة لا استعارة لان اغصان الشجر مجوفة وفي جوفها غرف كثيرة مفصولة بعضها عن بعض بغشاء رقيق يسهل على النمل خرقهُ فيتم الاتصال بين الغرف . وعند مغرز الاوراق في الساق مكان رقيق جداً يسهل على النمل خرقهُ والدخول منهُ الى داخل الساق وتحت مغرز ساق الورقة مادة عسلية ذات زغب بين زغبها ذرات بيضاء مستديرة تسمى اجسام ملرنبية الى العالم

ما يكتشفها وهي طعام هذا النمل ويقال انها مغذية جدًّا لاحتوائها على مادة لحمية ومادة دهنية فيأكلها النمل ويغتذي بها . فكأن هذه الاشجار شعرت بالخطر الذي يتهددها من النمل الزارع فلجأت الى النمل المحارب واستغاثت به واعدَّت لهُ منازل في جوف اغصانها وهيأت لهُ الطعام اللازم لمعيشته لكي يقيها من هجمات النمل الزارع

وهناك اشجار اخرى من نوع السنط لها شوك حاد مقرزهُ في الغصن مجوَّف يسكنهُ النمل المحارب ليدفع عنها النمل الزارع والشجر يقدم للنمل مؤونتهُ اي انهُ يتعهد للنمل المحارب بالمأوى والمأكل مقابل دفع الاعداء عنهُ . لكن لا عهد لهذا السنط بل هو مثل كل المستبدين يوليك زمامهُ ما دام محتاجًا اليك فاذا استغنى عنك لفظك لفظ النواة فانهُ اذا جاء الصيف وجفَّت الاوراق وسقطت ولم يعد السنط يخشى بأس النمل الزارع قطع الطعام عن النمل المحارب فيموت اكثرهُ جوعًا والبقية الباقية منهُ تحتمل الضيم وتبقى على عهد الولاء الى الربيع حتى اذا ظهرت الاوراق الجديدة جددت قوتها واخلفت نسلها وعادت الى الدفاع عن الشجر وعاد هو الى تقديم الطعام لها . وهذا الطعام مؤلف من حبات صغيرة برتقالية اللون كثيرة الشكل تتولَّد عند رؤوس الاوراق وتسمَّى اجسام بلت نسبة الى العالم بلت الذي حققَ فائدتها . وقد بيَّن المستر فرنسيس دارون ابن دارون الشهير ان اجسام بلت واجسام بلت انواع من غدد الاوراق . ومن الغريب ان هذين الشجرين من نوعين مختلفين جدًّا ولكنهما يتقيان النمل الزارع على اسلوب واحد اي باعداد المأكل والمأوى في جرثومتهما للنمل المحارب حتى يقيم فيهما ويقيهما من النمل الزارع

وقد وجد الباحثون انواعًا اخرى من الشجر في بلدان مختلفة تعد المنازل في جوفها للنمل حتى يسكنها ويدافع عنها

ويعلل علماء النشوء وجود هذه المزايا في الشجر والنمل بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح فيقولون مثلاً ان النمل الزارع جار على الاشجار وعرَّاها من ورقها واتفق ان بعضها اوى النمل المحارب فسلم من النمل الزارع واخلف نسلاً فقويت هذه المزية في نسله وتكوَّنت فيهِ الممدات لاواء النمل المحارب وتغذيته . والنمل الزارع صارت لهُ هذه المزية بان ظهر فيهِ ميل الى جمع اوراق الشجر واكل ما ينبت عليها من القطر وقوي هذا الميل بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح اي ان الذي قوي فيهِ هذا الميل استفاد منهُ فعاش واخلف نسلاً والذي لم يتولَّد فيهِ هذا الميل او لم يقوَ فيهِ ضعف وانقرض او ظهر فيهِ ميل آخر وقاهُ من الانقراض وقوي فيهِ فصار منهُ صنف مخالف للصنف الاول وهلمَّ جرًّا

السكسوفون او دليل الجنس

نشر المستر ستد صاحب مجلة المجلات خبراً في غاية الغرابة لا نرى لهُ تعليلاً معقولاً ان كان صحيحاً ولم نرَ ما يؤيدهُ في جريدة عليَّة لكن ذلك لا يمنعنا من نشره قال

ان المستر وليمس من المشتغلين بالاعمال الهندسية وتربية الدجاج رأى ذات يوم اهتزازاً في ادوات حديدية صغيرة معلَّقة في دكانهِ لغير سبب ظاهر ثم رأى تحت تلك الادوات سلَّة فيها بيض فرفعها ظانًّا ان تحتها قطعة من المغنطيس هي التي هزَّت ادوات الحديد فلم يجد تحتها شيئاً . ولكن اهتزاز الادوات زال حينئذٍ فاعاد السلَّة الى مكانها فعادت الادوات الى اهتزازها فقال انهُ لا بدَّ من علاقة بين سلَّة البيض واهتزاز ادوات الحديد . ومن ثم جعل يمتحن فعل البيض بها فوجد ان بعض البيض لا يحرِّك الحديد مطلقاً وهو البيض العقيم وبعضهُ يحركهُ ذهاباً وايابًا كرقاص الساعة وبعضهُ يحركهُ في دائرة فحضن البيض الاول الذي يحرك الحديد ذهاباً وايابًا لتقف عن فراخ اناث وحضن البيض الثاني الذي يحرِّك الحديد في دائرة فتقف عن فراريج (اي فراخ ديوك) واتضح لهُ من ذلك ان الذكر والانثى يؤثران في الحديد الخنثى وتأثيرهما مختلف فالذكر يحركهُ في دائرة والانثى تحركهُ في خط مستقيم ذهاباً وايابًا وهما يفعلان ذلك ولو كانا لا يزالان في البيضة

قال المستر ستد رأيت المستر وليمس في معرض الدبلي مرور في اوتن سسل وهو يعرض آلتهُ دليل الجنس (السكسوفون) وقلت لهُ هل أنت واثق بصحة ما تدَّعي

فقال نعم وقد امتحنتهُ الف مرة ففرَّخت في السنة الماضية مئات من البيض فاتت فراخها كما دلتني هذه الآلة وبديهي اني لم افرِّخ البيض العقيم

فقلت اذًا جاءت الفراخ ذائمًا حسب ما دلتك الآلة

فقال نعم ولم اكن كثير التدقيق في اول الامر فوقع بعض الخطإ اما الآن فان زوجتي تستطيع ان تمتحن مئتي بيضة في الساعة وكل البيض الذي تضعهُ في المحاضن يفرخ وتأتي فراخهُ ذكورًا واناثًا حسبما تدلنا الآلة

فقلت لهُ وما هي هذه الآلة

فقال حاكها واراني سلكاً دقيقاً من الفولاذ (الصلب) وقد علَّق بها كرة صغيرة من الفولاذ ايضاً

فقلت وهل جنس الحيوان يؤثر في هذه الآلة على اسلوب واحد دائمًا

فقال فم دائمًا ابدًا سواء كان رجلاً او امرأةً او طيرًا او وحشًا او سمكًا . والآلة لا تخطئ ابدًا خذها وجرّبها بيدك

فاخذتها من يدهِ وسكتها فوق رأس الجنرال السرالفرد تورفار فجنت الكرة في اول الامر ثم صارت تدور واستمرّت على الدوران . ثم سكتها فوق رأس احدى البيدات فابطلت حركتها المستديرة وجعلت تخطر ذهابًا وايابًا مثل رقّاص الساعة . فقلت لهُ لعلَّ هذه الكرة تتحرك بارادتنا على غير قصد منا . فقال امتحنها في حيوان لا تعرف هل هو ذكر او انثى . هاك تنفذًا وارانب وفيرانًا بيضاء ولا احد يعلم ايها ذكر وايها انثى الاَّ بعد البحث الدقيق فامتحنها فيها

فامتحنتها في تلك الحيوانات فدلَّت على جنسها دلالةً صحيحة من غير خطإٍ . وكان مع المستر وليس كلب في سلَّة فهمَّ باخراجهِ منها لامتحان الآلة فيهِ فقلت لهُ لا تخرجهُ من السلَّة بل لتمتحن الآلة وهو فيها . فامسك الآلة فوق السلَّة ولم يمضِ الاَّ بضع ثوانٍ حتى جعلت تدور دورانًا فقلت أن الكلب ذكر فاخرجهُ لنرى فاخرجهُ واذا هو ذكر كما دلَّت الآلة . وتعاد التجارب في مكتبي امام لجنة من المشهورين بتفريخ البيض وانشر نتيجة ذلك في عدد تالٍ من مجلة المجلاَّت

انتهى كلام المستر ستد وهو في حد الغرابة وقد رسم صورتهُ بالفوتوغراف والآلة في يدهِ فوق رأس الجنرال السرالفرد تورفي سلك دقيق طولهُ نحو شبر في اسفلهِ كرة كالجوزة . ولا ندري لماذا مسكها بيدهِ لانهُ لا بدَّ ليدهِ من ان تحرك وتحرك الآلة حسب ما يعتقدهُ في نفسهِ وكان الواجب ان يعلق الآلة بشيءٍ كقب الميزان ويحيطها بما يمنع تحريك الهواء لها ويضع الحيوان تحتها فيعتمد على حركتها حينئذٍ اما اذا امسك الآلة بيدهِ فانهُ يحركها من تلقاء نفسهِ ولو على غير قصد منهُ فان كان يعلم جنس الحيوان فتكون حركتها مطابقة لما يعلمهُ وان كان لا يعلم جنس الحيوان فتكون دلالتها عليهِ من قبيل الاتفاق . والاتفاق هنا واحد من اثنين لانهُ لا يخلو ان يكون الحيوان ذكرًا او انثى . وقد علقنا قطعة حديد فوق حيوان فلم نرَ لها حركة مستديرة ولا غير مستديرة واشكل علينا تصديق المستر ستد لامر مثل هذا ونشرهُ لهُ ان لم يكن صحيحًا وهو لم يذكرهُ على سبيل المزاح بل على سبيل الجد وسنرى ما يكتبهُ في الجزء التالي ونذكر خلاصتهُ

الاحتفال بفتح قناطر اسنا

احتفل حضرات رصفائي الافاضل ارباب الصحافة المصرية العربية لأنوب عنها بين مدعوي نظارة الاشغال العمومية في الاحتفال بفتح خزان اسنا وذلك بناء على كوني اقدمهم عهداً في صناعتنا الشريفة

فركبت القطر المفخر مع سائر المدعوين وبرحنا محطة مصر الساعة ٦ والدقيقة ٣٠ مساء السابع من فبراير ساء فلم نبعد عنها الا القليل حتى علمت ان اصحاب السعادة بطرس باشا غالي وسعد باشا زغلول ونتحي باشا زغلول ومحمود باشا صدقي محافظ العاصمة ارسلوا في آخر ساعة يعتذرون عن السفر الى خزان اسنا وان جناب السر وليم جارستن اعتذر كذلك ايضاً لانحراف مزاجه واعتذر قبلهم آخرون مثل سعادة عزيز باشا عزت ويعقوب باشا ارتيت بحيث لم يسافر من المدعوين غير اربعين مدعوًا وهم مع حفظ الالقاب وعدم مراعاة تقديم او تأخير في ذكر اسمائهم السر الدن خورست . والنظار اسمعيل باشا سري ورشدي باشا وحشمت باشا . والمستشارون المستر بول هارفي والمستر وب والمستر دنلوب والمستر شيتي . ويوغوص باشا نوبار . ومحمد شوارب باشا وكيل شورى القوانين . وعفيفي باشا ويحيى باشا ابرهيم رئيسا الاستئناف المختلط والاهلي . وعبد الخالق باشا ثروت النائب العمومي . ومحمد انيس باشا وفريد باشا بيازوغلي وبوانه باشا من اكابر موظفي الاشغال . واللوا بلنت باشا مدير اللوازمات . والمستر فنسنت سكرتير الوكالة البريطانية الثاني وحضرات مديري جرجا وقنا وحافظ بك حسن مدير اسوان . وحسن بك بكري ومحمد بك تمام حباريز وقرشي بك احمد مندوبو قنا وجرجا واسوان . والمستر بري والمفتشون العموميون لاري والحياض والمستر وليس والمستر لنجلي والمستر ايرلند ومراقب عموم مجاري القاهرة المستر جيمس ومفتش ري جرجا محمود بك صدقي ومدير عموم الصحة المستر جراهم ومدير عموم السيجون كولس باشا . ومدير عموم المساحة الكبتن ليونس ورئيس شركة ري البحيرة المستر نوستر ووكيل شركة روتر المستر ريس ووكيل شركة هاداس المسيو فسيه . ومندوب الصحافة الاورية المسيو دوروجا والمستر برسفورد والسرشارلس متكاف والسر بنيامين للرمن اكابر الانكليز وكاتب هذه السطور

غير ان كثيرين من هؤلاء المدعوين لم يسافروا في القطر المفخر بل قصدوا الخزان من جهات مختلفة كانوا يرون فيها للتفتيش فجاؤوا خزان اسنا راكبين بواخرهم وآخرين انضموا الينا على الطريق فبلغنا الاقصر قبل الساعة الثامنة من صباح الاثنين اول امس واقفلنا

منها الى باخرتين من بواخر شركة هيبج انجلو اميركان هما نوبيا وساي فلاور . وكانت نظارة الاشغال قد استأجرتهما لنقلا المدعوين من الاقصر الى خزان اسنا فذهب كل مدعو الى المحل المعد لهُ فيهما وبقيت امرة بل غرف كثيرة منهما فارغة لاعتذار المدعوين عن الحضور او لسفرهم في بواخر اخرى كما تقدم . فسارت الباخرتان في يوم صفا جوهُ واعتدل — بل احرَّ هواؤهُ لكنا نرى الزينات التي اقامها الاهالي واكابر المزارعين والشركات مصفوفة على ضفتي النيل مسافات طويلة . وقبيل الساعة الرابعة بعد الظهر رست الباخرتان وراء يخت الجناب العالي نسيم البحر ويخت معيتهِ هيبا . فاسرع حضرات النظار الثلثة الى مراديق مضروب على الضفة الغربية قرب طرف الخزان الغربي حيث تشرفوا بمقابلة سمو الخديوي المعظم . وكان حينئذٍ منتهى التشريفات وقد تشرف عطاه مركز اسنا وموظفوهُ واعيانهُ وعمدهُ بمقابلة سموهِ

اما سموهُ فوصل بمعيتهِ الى محطة خزان اسنا ظهر يوم الاثنين راكباً قطراً خصوصياً ونزل من هناك الى يختهِ . ثم شرف الديوان في الساعة الثالثة بعد الظهر حيث جرت التشريفات كما تقدم

وكان اهل مركز اسنا قد عينوا لجنة من اعيانهم وفي مقدمتها حضرات الوجيهين حسن بك بكري ومتولي بك حزين فنصبت اللجنة السرادق المذكور وفرشتهُ بالرياش الفاخر والبجاد الوثير واقامت زينة عظيمة ممتدة من طرف الخزان الغربي الى البلدة . واراد الاهالي ان يستقبلوا سموهُ بميدان بتسابق فيهِ فرسانهم على متون خيلهم فمنعوا من ذلك لانهُ لم يكن مقرراً في بيان الاستقبال

وكانت بواخر المدعوين ترد احداها بعد الاخرى وترسو بحري الخزان وقبلهُ حتى اجتمع في ذلك اليوم وصباح اليوم التالي عشرون باخرة بين كبيرة وصغيرة وكلها مزينة بالرايات والاعلام من اعاليها الى اسافلها

ثم نزلنا من الباخرة وزرنا حضرات اعضاء اللجنة وانتقلنا من هناك الى الخزان فرأينا في الطرف الغربي منهُ هويساً تمر السفن فيهِ طولهُ ٨٠ متراً ولهُ قرب طرفيهِ بابان كبيران من الحديد عرض كل منها ١٦ متراً وهما يفتحان ويغلقان بكل سهولة وعلى هذا الهويس كبري متحرك عرضهُ ١٦ متراً وثقلهُ ٩٠ طناً ومع ذلك يفتحهُ ويغلقهُ رجل واحد بسهولة لانهُ يدور على اسطوانات سهلة التحريك . وقد وضع تحت هذا الكبري محرك كهربائي متصل بيد من الفضة قد نقش الشعار الخديوي على وجهها وكتب على قفاها بالانكليزية « قناطر اسنا . فتح

هذا انكبري المتحرك عباس حلمي الثاني في السنة الثامنة عشرة من حكمه ٩ فبراير ١٩٠٩

فسرنا على هذا الكبري الى ظهر القناطر المذكورة فوجدنا هناك طريقاً متقناً مبلطاً بلاط السمنت مبتدأ من اول القناطر الى آخرها مسافة ٩٠٠ متر وقرب حدود القبلي سكة حديد للعربات الصغيرة التي يسميها الانكليز ترولي ويسميها الاهالي العربات المكسحة. وعند هذا الحد القبلي حائط تسير عليه آلة رافعة للاثقال تعرف بالونش او العفريت وهذه الآلة من احدث طرز وابدع صنع اتوا بها ليرفعوا ابواب عيون القناطر بها ويتنزلوها ولم يسبق لها نظير في هذا القطر. وعلى الحد البحري من الطريق حائط قائم على بتلات القناطر وقد نصبت على بتلة كل عشر عيون راية وعدد العيون ١٢٠ عيناً فيبلغ عدد الرايات المنصوبة عليها ١٢ راية كبيرة وهي من الغرب الى الشرق (١) مصرية (٢) مصرية (٣) انكليزية (٤) ايطالية (٥) انكليزية (٦) فرنسوية (٧) خديوية (٨) يونانية (٩) مصرية (١٠) ايطالية (١١) انكليزية (١٢) مصرية ولم نذكر الراية العثمانية لانها هي والمصرية واحدة

ثم ركبنا العربات المكسحة وسرنا من اول القناطر الى آخرها حيث وجدنا وكيل شركة رنسوم ورابيه التي صنعت كل ما في الخزان من الاشياء الحديدية وركبتها في اماكنها فاراانا الونش الذي مر ذكره وهو يدار بزيت البترول فيرفع ابواب عيون القناطر وينزلها وفي كل عين بابان من الحديد طول كل منهما ثلثة امتار. فيرفع الونش احدهما او يخفضهُ بجانب الآخر بحيث يحجزان الماء وراءهما الى علو ستة امتار عند الاقتضاء. واخبرنا انهُ يمكن رفع هذه الابواب او خفضها في العيون كلها في يوم ونصف بحيث يتيسر حجز ماء النيل كله الى العلو المطلوب في تلك المدة. ثم رأينا بعض المباني التي بنيت شرقي هذه القناطر وشاهدنا ما في الخزان من الاعمال. ورأينا رسوم القناطر والمثال المصنوع لها ومنهُ يفهم الناظر كيفية شكلها وبنائها في طرفة عين

وقد وضع على الطرف الشمالي الغربي من القناطر حجر مربع من الجرانيت الاصواني نقش على جانبهِ الغربي بالخط الفارسي ما يأتي "وضع هذا الحجر سمو الخديوي المعظم عباس حلمي الثاني في ١٨ محرم سنة ١٣٢٧" ونقش على جانبهِ القبلي بالانكليزية ما هو بمعناهُ بالتاريخ الميلادي

وعلى الطرف الشمالي الشرقي من القناطر حجر آخر نقش على جانبهِ بالعربية «الواضع لاول حجر في هذه القناطر صاحب السعادة حسين فخري باشا ناظر الاشغال العمومية في ٢٤ يناير سنة ١٩٠٨ م» ونقش على الجانب القبلي بالانكليزية ماهو بمعناهُ

هذا وبينما كنا عائدين على ظهر القناطر اذنت الشمس بالمغيب وكست السماء حللاً

بديعة الالوان بين اصفر ذهبي واحمر وردي واحمر قان مما تعجز عن وصفهِ قرائح الشعراء واقلام البلغاء ثم التفتنا واذا الانوار الكهربائية قد اشرفت دفعة واحدة على اعمدة الزينة التي نصبتها نظارة الاشغال العمومية ورفعت قلائد الانوار المتعددة الالوان على يخت الخضرة الفخيمة الخديوية ثم على يخت المعية السنية وباخرتي الشركة الانجلو اميركية وسائر البواخر الراسية بحري القناطر وقبليها وانيرت زينة اهالي اسنا فتارت ضفة النيل الى البلدة . وكانت الزينات كلها ولا سيما زينة اليختين الخديويين من ابهج ما رأتهُ العين حتى شهد المشاهدون ان زينة قناطر اسنا كانت من اللطف ما شاهدهُ ذوو الذوق السليم في هذا القطر كما شهد اهل اسنا ان بلدهم لم يرَ قط زينة ابهج من تلك الزينة ولا منظرًا اعظم من ذلك المنظر

واقبل حضرات الاعيان حسن بك بكري ومتولي بك حزين وغيرهما فدعوا بعض المدعوين الى وليمة فاخرة اولموها فاجاب سعادة الفاضل الشواربي باشا الدعوة واعتذر آخرون شاكرين لطفهم وفضلهم . وبات الجميع في انس وسرور تلك الليلة يتسابقون للتبين برؤية مليكهم في كل فرصة تسنح لهم وحضرات مأمور المركز وحكمدار البوليس وسائر رجال البوليس يحفظون النظام بينهم بكل طاقتهم

وفي الساعة العاشرة من صباح الثلثاء ٩ نوفمبر توجه المدعوون الى الاماكن المعدة لهم في الطرف الغربي من الخزان وكان الاهالي مجتمعين الوفًا على الوف في الفسحة المعدة لوقوفهم.

فلما وصلنا الى هناك وجدنا حضرات مندوبي الصحف قد سبقونا الى الاماكن المعدة لهم قادمين من الاقصر في قطر خصوصي وجمعًا غفيرًا جالسًا بالقرب منهم . وفي الساعة العاشرة ونصف ضرب النفير فخرج سمو الخديوي المعظم من يختهِ واقبل وبجانبهِ جناب السر الدن غورست ووراءهُ حضرات النظار واكابر رجال المعية ورجال الاشغال العمومية فحيا سموهُ حضرات المدعوين الواقفين بقرب الهويس مصافحة

وكان كبري الهويس قد فتح قبل ذلك بقليل فتقدم سموهُ وشد يد القضة التي سر وصفها قبلاً فادارت المحرك الكهربائي وادار المحرك الكبري حتى اغلقهُ ثم تقدم سموهُ عليهِ الى دكة بجانب حجر الغرانيت الغربي الذي تقدم ذكرهُ وهناك قرأ سعادة اسماعيل باشا سري الخطاب التالي باللغة العربية

مولاي . قد دعتني واجبات الوظيفة التي تتفضل جنابكم السامي فاسندها اليَّ ان اتقدم الى سموكم الفخيم في هذا اليوم المبارك باحدث الاعمال العظيمة ذات المنفعة العميمة التي قامت بها مصلحة الري في عصركم الزاهر وتحت رعاية جنابكم الرفيع ألا وهي قناطر اسنا

كان ري مديرية قنا مرتبطاً حتى الآن بدرجة فيضان النيل وكانت اراضيها تصاب بالشرق في السنين التي تنخفض فيها مياهه وهو ما حصل في سنة ١٨٧٧ حيث انحطت المياه وبقي نحو ال ٣٥٠٠٠٠ فداناً من غير ري وفي سنة ١٨٨٨ التي كان الفيضان فيها قليلاً كذلك بلغت مساحة الشراقي ١١٤٠٠٠ فداناً اما في سنة ١٨٩٩ فقد نزلت مساحة الشراقي الى ٨٠٠٠٠ فدان فقط وذلك بفضل الاعمال التي عملت بعد فيضان سنة ١٨٨٨ لتجفيف غوائل الشرق

اما الآن وقد تمت قناطر اسنا وصار الشراقي لا يمكن وقوعه في مديرية قنا حتى في احط السنين فيضاناً فسيكون هناك تحسن في حالة ري ال ٣٥٠٠٠٠ فداناً التي يتعلق ريها بالقناطر الجديدة مباشرة وبذلك تتوفر على خزينة حكومة جنابكم القيم تلك المبالغ الجسيمة التي كانت تخصص سنوياً بالميزانية لرفع نوائب الاراضي الشراقي وفي هذا اعظم الفوائد لرعاياكم

مولاي . فكرة تشييد هذه القناطر العظيمة ترجع الى جناب السير وليم جارستن المستشار السابق لنظارة الاشغال وجناب المستر وب مستشارها الحالي

ان هذه القناطر واقعة على بعد ١٦٣ كيلومتراً تقريباً شمالي خزان اسوان وترتفع تسعة امتار ونصفاً فوق تسوية التحريق ويبلغ طولها تسع مئة متر وتشتمل على مئة وعشرين عيناً كل عين خمسة امتار وفي طرفها الغربي هويس للملاحة طوله ثمانون متراً وعرضه ستة عشر متراً وظهرها طريق عمومي عرضه ستة امتار يوصل بين شاطئي النيل . اما نفقاتها فقد بلغت مليوناً من الجنيهات وقد عهد بمقاولة بنائها الى الخواجات ايرد وشركائه ومقاولة الاعمال الحديدية الى الخواجات رانسون ورايه

وكان الشروع في عملها عقب فيضان سنة ١٩٠٦ وتمت قبل الموعد الذي كان محدداً لاتمامها بثانية عشر شهراً بفضل الهمة الفائقة التي بذلها المقاولون والعناية التي ابداها المستر ماكدونالد مدير عموم الخزانات والمستر لويد مدير اعمال قناطر اسنا والذين عاونوهم في ذلك من وطنيين واوربيين فحق لهم جميعاً اعظم الفخر

ان في تفضل جنابكم الكريم بشريف الاحتفال باتمام هذا العمل الجليل وتنازلكم الى ختم آخر حجر فيه بيدكم الكريمة تشجيعاً وفخاراً للذين ساعدوا على اتمامه بعلمهم وعملهم واظهاراً لحسن تعطفاتكم السنية لفريق من رعاياكم كانوا قبل الآن في حالة لا تسر فاصبحوا اليوم في نعمة كبرى وانهم دون شك سيقابلون على الدوام هذه المنة بعظيم الشكران

والمسأول من الله سبحانهُ وتعالى ان يديم ذاتكم الكريمة ذخرًا للبلاد والعباد

وقرأ سموهُ الجواب التالي بالعربية ايضاً

يا سعادة الناظر . يسرني ان اشهد هذا الاحتفال الشائق بتمام قناطر اسنا التي هي حسنة جديدة من حسنات الري في قطرنا السعيد . وفي تشييدها اكبر دليل على اهتمام حكومتي بترقية شؤون البلاد ترقية مادية حقيقية تعود على الاهالي بالنفع العظيم والخير العميم واني اشترك معكم يا سعادة الناظر في الثناء على السير وليم جارستن والستر وب صاحبي هذا المشروع الجليل وعلى جميع الذين ساعدوهما في هذا العمل النافع العظيم سواء كان من الوطنيين او الاوربيين والآن باسم مفيض النعم انتتح قناطر اسنا لخير البلاد والعباد

وحينئذٍ انعم سموهُ بالياشين على نسمة من الموظفين والمقاولين الذين بنوا هذه القناطر وهم الستر وب والسرجون ايرد ومكدونلد ولويد وجارو وستوكس وبري وجوردون وبيرمن

وتقدم جماعة لابسون ثيابًا حمراء وبيضاء كالذين يمدون امام خيل المركبات وهم يجرون عربات مكسحة مغطاة بجوخ احمر فجلس سموهُ على اولها وجلس جناب السر الدن غورست عن يساره وسعادة وطسن باشا وزيرها وتلتهم سائر العربات تقل اربعة اربعة من حضرات النظار واكابر رجال المعية ووجوه المدعوين على قدر ما تحتمل العربات المكسحة الموجودة فساروا فوق القناطر وشاهدوا ما كنا قد شاهدناهُ ووصفناهُ في ما تقدم ثم ركبوا يختين وعادوا بهما في النيل ومروا في المويس فهتف لهم جمهور المدعوين وغيرهم كثيرًا وتم بذلك الاحتفال بعد الساعة ١٢ بدقائق قليلة وكان حضرات مندوبي الصحافة قد عادوا الى قطرهم قبل ذلك وقفلوا راجعين الى الاقصر

هذا ما شاهدتهُ مما يختص بالصحافة ذكرتهُ في هذه العجالة

بقي عليَّ ان اذكر ولو بالايجاز حسن عناية الحكومة بدعوتها واهتمامها بكل ما يلزم لراحتهم ورفاهتهم فقد كانت غرف نومهم من احسن ما يمكن اعدادهُ في هذا القطر بل في سائر الاقطار وكان طعامهم في القطر الفاخر من اثمر ما يأكلهُ عيون اعيان المسافرين فيهِ وكان طعامهم في الباخرتين من اثمر ما طهاهُ المسيو بارا الطاهي الشهير الذي جعل صناعة الطبخ علماً من جهة وشبه فن من الفنون الجميلة من جهة أخرى . وكان سعادة الفاضل فريد باشا يازوغلي يكلف نفسهُ كل تعب ومشقة لراحة المدعوين والاهتمام بكل كلي وجزئي من حاجاتهم حتى بات جمهورهم شاكرًا لهُ على ملاطفتهِ وحسن عنايتهِ وحامدًا الحكومة على ما رأى من كرمها واكرامها

انتقال الافكار

اشرنا في الجزء الماضي الى ما ردَّ به السر اوليفر لدج على ما كتبهُ الاستاذ نيوكم من قبيل مناجاة الارواح وانتقال الافكار ووعدنا بتلخيص الرد في هذا الجزء وانجازًا لذلك نقول

بدأ السر اوليفر لدج كلامهُ باعترافهِ ان كثيرين من اهل الغش والخداع ادَّعوا مناجاة الارواح وما يجري مجراها من الامور الغريبة غير المألوفة فكانت دعواهم عثرة في سبيل الباحثين . ولكنهُ لام الاستاذ نيوكم لانهُ اقتصر على ما قيل في هذا الموضوع منذ عشرين سنة وما قبلها ولم يلتفت الى ما تمَّ بعد ذلك ولا سيما لانهُ انكرَ "التلبثي" اي انتقال الافكار او تأثير عقول الناس بعضها ببعض عن بُعْد ولا صلة بينها من المشاعر الخمس . قال واذا امكننا ان نجد تعليلاً آخر غير انتقال الافكار للافعال التي تفعلها مسز بيجر مثلاً كان ذلك غاية مُنانا لان كثيرين يعترضون على هذا التعليل ويحسبونهُ عثرة في سبيل البحث لاسيما وان انتقال الافكار قوة من القوى الخاصة ببعض الناس على ما يظهر فانا محرومٌ منها مثل الاستاذ نيوكم ولكن حرماني منها لا يؤخذ دليلاً على نفيها فقد عرفتُ اناسًا ليس فيهم شيءٌ من المقدرة على الغناء او ليس فيهم شيءٌ من المقدرة على الاشتغال بالمسائل الرياضية ولكن ذلك لا ينفي وجود اناس مقتدرين في الموسيقى وفي الاشغال الرياضية

ثم اشار الى غرض جمعيَّة المباحث النفسية وهو تمحيص ما يروى من الامور الغريبة للوصول الى سببها الحقيقي . وقال ان ليس من غرضها التسليم بصحة كل ما يروى لها بل اعضاؤها اميل الى الشك منهم الى التصديق . وكثيرًا ما لامهم البعض على شدَّة ريبهم . ووافق الاستاذ نيوكم على ان الاعتقاد بالسحر قد زال من عقول المتمدنين منذ قرنين وزال معهُ كل اعتقاد بتفاعل العقول الاَّ بواسطة الحواس الخمس . ثم قال ولكن حدث شيءٌ من الردَّة بعد ذلك واخذنا نرى اننا تطرفنا في الافكار فنفينا ما لا حقَّ لنا في نفيهِ لا سيما وان حواسنا الظاهرة التي ارتقت بارتقاء طبيعتنا الحيوانية لكي ترشدنا الى ما يلزم لمعيشتنا المادية لا يُنتظر منها ان تدرك كل الظواهر العقلية . ولا شيءَ ينفي ان يكون في هذا العالم امور كثيرة لا نعلم بوجودها وهذا مما جعل عالمنا كبيرًا مثل الاستاذ صدجوك يشتغل في هذه المباحث حينما كان جمهور العلماء ينظر اليها بالازدراء . وانا اعذر العلماء الطبيعيين الذين يأتون من البحث في هذه الامور العقلية المبهمة ولكنني لا اعذرهم اذا وجدوا فيها سبيلاً للبحث فاغمضوا عيونهم عنهُ والشك ضروري في كل المباحث وويل للعالم اذا انقلب ابناؤهُ من الانكار الى التصديق

دفعة واحدة من غير ان يبحثوا ويدققوا . فالدرس والبحث واجبان في كل الامور ولا سيما على رجال العلم ومتى ثبت لهم امرٌ وتحققوهُ تحققاً ينفي كل ريب وجب عليهم ان يعلنوهُ على رؤوس الاشهاد . والذين ينتقدونهم انما يدفعونهم الى زيادة البحث والتمحيص وقد يظلون ايديهم اذا مزجوا الانتقاد بالتهكم والازدراء ولكنني لا اظن ان ذلك يحدث بعد الآن لا سيما وقد انضم الى جمهور الباحثين كثيرون من رجال العلم والفضل وكبار المنشئين وارباب السياسة

الاَّ ان الاستاذ نيوكم قد قال ان الغرائب التي تروى لا يبنى عليها حكم ولو كانت صحيحة لانها لا تجري على نسق واحد دائماً ولا تدلُّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ فاذا ظهرت الطرق التي يتم بها انتقال الافكار حتى اذا جرَّبها اي فردٌ كان نجح كما نجح غيرهُ اي نَقَلَ افكارهُ كما ينقل الذين يدَّعون نقل الافكار افكارهم صار انتقال الافكار حقيقة علمية . هذا ما قالهُ الاستاذ نيوكم وهو من الغرابة بمكان نعم ان جمع الحوادث المتفرقة التي لا يعلم ما بينها من الروابط لا يكفي لان يكون علماً قياسياً ولكن اكثر العلوم جرت هذا المجرى فظهور النيازك لم يعرف قياسهُ منذ مئة سنة وحتى الآن توجد حقائق كثيرة في علم البيولوجيا والجيولوجيا والميتيورولوجيا اذا قسناها بالمقياس الذي وضعهُ الاستاذ نيوكم وجب علينا ان نرفضها ولا نعتدَّ بها . وحكمهُ هذا ينفي كل العلوم الاستقرائية . والامتحان ليس شرطاً لازماً لصحة الحوادث والاَّ لوجب علينا مثلاً ان ننفي ما يقال عن ظهور نجوم جديدة في الفلك لان ظهورها او اظهارها لا يتم تحت الامتحان

وقد اشار الاستاذ نيوكم الى اكتشاف السر وليم كروكس للاشعة الكهربائية السلبيَّة وتناول العلماء هذا الموضوع واشتغالهم بهِ في كل مكان واكتشافهِ حركةً في بعض المواد لم يعلم سببها اشارة الى انتقال الافكار ولكن لم ينتج من اكتشافهِ هذا نتيجة مع ان جمعية الباحث النفسية أُنشئت للبحث عن مثلهِ . وعندهُ ان سبب ذلك هو ان ما قيل عن انتقال الافكار لم يثبت ثبوتاً علمياً ولا دلَّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ وانا موافقهُ على ذلك ولكنني اذكر لهُ تعليلاً آخر وهو ان انتقال الافكار اكتُشف قبلما كان رجال العلم مستعدين لهُ . ولو كانوا غير مستعدين للبحث في اشعة الكهربائية السلبيَّة لما كان لها اقل شأن عندهم ولم يكن لها اقل شأن عند جمهور الناس لولا استعداد رجال العلم للبحث فيها . ورجال العلم كانوا مستعدين كلهم او بعضهم للبحث في النور والكهربائية بما عندهم من الآلات والادوات ولكنهم غير مستعدين للبحث في انتقال الافكار لانهُ يتوقف على وجود قوًى خصوصية في بعض الناس للتأثير في غيرهم وقوى خصوصية في غيرهم للتأثُّر منهم . والبحث الاول اي البحث

في الكهربائية والنور مطروق الآن لكل العلماء ولجمهور الناس ايضاً واما البحث الثاني فلم يزل في مجاهل لم يأتها الناس ولا هي مطروقة لهم كلهم . ولم يكن الامر كذلك في المباحث الاولى في غابر الزمان بل كان الحكم فيها كالحكم في المباحث الثانية فلما قام رجر باكن وبحث في المواضيع الاولى قوبل بالتعنيف وكان حظ بحثهِ الاهمال والنسيان لان الناس لم يكونوا مستعدين لها ولا كان عندهم مساعد طبيعيٌّ للبحث فيها وكان المتنورون قليلين متفرقين . وكان يسهل على بعض العامة ان يعبدوا تجارب باكن ويثبتوها ولكن لم يكن لهم فائدة من ذلك بل كانوا يضطرون ان يهملوها ويهربوا . وكان اسلم الامور عاقبةً حينئذٍ ان ينسب الانسان ما يراهُ من الغرائب الطبيعيَّة الى فعل السحرة والابالسة وان يعزو بالقائلين انها طبيعيَّة . اما الآن فالذين يسبقون غيرهم لا يعاملون بالجفاء كما عومل رجر باكن ولكن يُنظَر اليهم بعين الشفقة كأنهم من سخاف العقول وعليهم ان يكتفوا بذلك الاَّ اذا كان طبعهم يأبى الازدراء. ولكن يحسن بهم ان يصبروا لان الزمان ابو العجب واذا ظهر اخيرًا انهم واهمون ضالون فلا افضل لهم من ان ينبِّهوا من وهمهم ويرشدوا من ضلالهم

ولننظر الآن الى انتقاد الاستاذ نيوكم بالتفصيل ولا سيما في الامرين اللذين انتقدهما بنوع خاص وهما نقل افكار وخيالات المحتضرين

ولا شبهة في ان التجارب التي جُرِّبت في نقل الافكار اتخذت فيها الاحتياطات اللازمة لمنع كل اتصال بين الاشخاص بواسطة الحواس الظاهرة . ولا ندَّعي اننا منعنا كل اتصال ممكن لانهُ لا يمكن نقل شيء من شخص الى آخر الاَّ بواسطة شيء يصل بينهما فهل هذا الشيءُ هو التلبثي اي تأثير العقول بعضها ببعض عن بعد وهل مُنِع كل اتصال عادي . فان كانت الافكار قد انتقلت مسافة اميال كثيرة فلا شبهة في انهُ لم يكن بينها اتصال عادي وان كان ما حدث من انتقال الافكار لم يحدث اتفاقاً فلهُ سبب آخر

وقد قال الاستاذ نيوكم ان النجاح في نقل الافكار يكون على اقلهِ اذا كان التدقيق في تجنب الخطإ على اكثرهِ اما انا فلا اسلِّمهُ بذلك على احتمالهِ وسنبين التجارب صحة قولهِ او صحة قولي . ثم قال انهُ اذا أُحصيت الحوادث التي وقعت فيها الاصابة وأُهملت الحوادث التي وقع فيها الخطأ فالحكم المبني على الحوادث المصيبة غير صحيح . واتهمنا باننا نحصي الحوادث التي تصيب ونهمل الحوادث التي تخطئ . وهذا غير صحيح ومن يظن اننا فعلنا ذلك يكون قد اتهمنا باننا جارون في مباحثنا مجرى الاطفال السخاف العقول . والحقيقة التي لا شبهة فيها اننا في كل تجاربنا نحصي الحوادث التي لم تصب كما نحصي الحوادث التي اصابت . وقد

اهتم بعضنا ايضاً بمعرفة ما يمكن ان يحدث لو ترك الامر لمجرَّد الصدفة والاتفاق

وقال ايضاً انهُ لم يجد في ما نشرتهُ جمعيَّة المباحث النفسية في السنوات العشر الاخيرة ما يدل على انها تقدَّمت اقل خطوة في هذا الموضوع . ولكنهُ لو طالع ما نشرتهُ في اكتوبر سنة ١٩٠٧ لوجد تجارب مس ميلز ومس رمسدن اللتين اتحتا انتقال الافكار مسافات طويلة ثم ما نشرتهُ بعد ذلك عن تجارب مسز بيبر. واذا كانت تلك الاعمال لا تفسَّر بانتقال الافكار فلا بدَّ من تفسيرها بقوة اخرى ولذلك اقول ولا اخشى معارضاً ان التجارب قد اثبتت امكان انتقال الافكار من شخص الى آخر ولا صلة بينهما من الصلات المعروفة

وقد استبعد الاستاذ نيوكم ان توجد قوة نقل الافكار في الناس ولم ينتبه لها قبل الآن اما انا فاقول ان قوة نقل الافكار قلما تكون قوية حتى يسهل اتخاذها . وقد اتخذ ندرتها دليلاً على نفيها لكن ندرة الشيء لا تنفيهِ . نعم ان من عادة الناس ان يكتموا ما يجول في خواطرهم ويحفظوا افكارهم في نفوسهم ولكن ذلك لا يمنع ان يوجد منهم من ترشح افكارهُ من عقلهِ وهؤلاء قلائل جدًّا ولو كانوا كثارًا لانتبه الناس لهذا الامر من قديم الزمان

ولكن تأثير الناس بعضهم في بعض بواسطة ما يصدر من افكارهم ليس بأغرب من تأثيرهم بعضهم في بعض بمخرجات المواد (في الكلام) وبعلامات يرسمونها على الورق (في الكتابة) . وعلى اي شيء يستند الاستاذ نيوكم في دعواهُ وهي ان كل قوة توجد في الناس قليلين يجب ان توجد في كل الناس والاَّ فهي غير موجودة

ونتقدم الآن الى الامر الثاني وهو ان الحوادث التي تحدث لبعض الناس قد تؤثر في غيرهم فيرون خيالات ونحوها تدلُّ على تلك الحوادث . فقد قال الاستاذ نيوكم ان بعض ما روي عن ذلك غير صحيح او مبالغ فيهِ . وانا اوافقهُ على قولهِ واقول ان اكثر ما روي من هذا القبيل غير صحيح ولا بدَّ من التدقيق والتمحيص لمعرفة الخبر الصحيح من الكاذب وهذا قد فعلتهُ جمعية المباحث النفسية كما يُرى في كتبها . وقد حُسب بعض هذه الاخبار صحيحاً ثم ثبت انهُ غير صحيح ولكن ما كان من هذا القبيل قليل جدًّا لا يزيد على اربع حوادث فيما اعلم ومن هذه الحوادث حادثة القاضي التي ذكرها الاستاذ نيوكم وقال انهُ لا يتذكر غيرها من الحوادث التي استُشهد فيها بشهادة شخص خارج عن المشتركين فيها . فاذا لا يتذكر غيرها ألأنها اصح من غيرها او لأنها ابطل من غيرها وهل كان يتذكر غيرها من الحوادث لو أُتيت الادلة على بطلانهِ

ثم التفت السر اوليفر لدج الى احصاء الحوادث التي تصدق والتي لا تصدق وبيَّن ان

التي تصدق اكثر كثيرًا مما لو كان صدقها من قبيل الاتفاق فالتفت الى الخيالات التي تدلُّ على موت الاقارب فقال ان احتمال موت الانسان في اي يوم كان من ايام حياته هو واحد من ١٩٠٠٠ (حسب ان متوسط عمر الانسان نحو ٥٠ سنة فيكون فيه ١٩٠٠٠ يومًا) فاذا تخيَّل انسان موت صديق له ١٩ الف مرةً وصدق تخيلهُ مرةً واحدة فيكون ذلك من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث حسب قواعد الممكنات او اذا تخيَّل ذلك ١٩ الف نفس وصدق واحد منهم في تخيله فصدقهُ من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث ولكن جمعية المباحث النفسية نشرت في تقريرها اجوبة ١٧ الف نفس ومن هؤلاء ١٦٨٤ قالوا انهم يرون الخيالات ومن هؤلاء ٣٨١ قالوا انهم رأوا خيالات حقيقية ٣٥٢ منها خيالات الناس ثبت انهم ماتوا حينئذٍ و٢٠ خيالات غير واضحة و ٩ خيالات الناس لم يموتوا. هذه هي الخيالات التي تذكَّروها والمرجح انهم هم او غيرهم رأوا خيالات اخرى لم تصدق فنسوها واذا فرضنا ان ما نسي مضاعف ما ذكر فتكون الخيالات التي رُئيت نحو ١٣٠٠ وقد ثبت بعد البحث الدقيق ان ثلاثين من الذين رُئيت خيالاتهم ماتوا في اليوم الذي رُئيت خيالاتهم فيراي صدقت رؤيةٌ واحدةٌ من كل ٤٧ رؤية وذلك بمثابة ٤٠٠ من ١٩٠٠٠ وقد تقدم ان قوانين الاتفاق تقضي بصدق رؤية واحدة فقط من كل ١٩٠٠٠ فما صدق من رؤيات هؤلاء الناس اكثر مما يقتضيه قانون الاتفاق ٤٠٠ ضعف هذا اذا حدثت الوفاة ورؤية الخيال في مدى يوم كامل ولو كان الفرق بينهما نحو ٢٤ ساعة ولكن اذا كان الفرق بين الحادثين اقل من ٢٤ ساعة لم يعد مقتضى الاتفاق واحدًا من ١٩٠٠٠ بل اقل من ذلك كثيرًا. ولهذا حكمت جمعيةُ المباحث النفسية ان الحوادث التي بُنيتها عن ظهور خيال الانسان يوم موته تدل دلالة قاطعة على انها لم تحدث بالاتفاق المحض ولا يفسَّر حدوثها الاَّ بوجود علاقة ما بين وفاة الانسان وظهور خياله او بوجود الغش او الخطإ في ذكر هذه الحوادث. وقد فسر السر اوليفر لدج هذه العلاقة بتأثير عقلي بين عقل المحتضر وعقل من يرى خياله وقال انهم لجأوا الى هذا التفسير لانهم لم يروا تفسيرًا اقل بعدًا منهُ عن المألوف ولان بعض الناس حاولوا ان يؤثروا في عقول غيرهم فنجحوا في ذلك. وسواء صح هذا التعليل او لم يصح فلا شبهة ان الخيالات الصحيحة لا تظهر بمجرد الاتفاق ولا بدَّ من علاقة سببيَّة بين الموتى وخيالاتهم التي تظهر للاحياء كما قالت لجنة المباحث النفسية التي بحثت في هذا الموضوع. انتهى. هذه زبدة الردّ الذي ردَّ به السر اوليفر لدج على الاستاذ نيوكم وسنرى ما يكون رد الاستاذ نيوكم عليه

الشعر الوصفي

في المياه واوصافها

فمن وصف النهر قول بعضهم :

والنهر مكسوٌّ غلالة فضَّةٍ فاذا جلا صيقلٌ ثوب نضارِ
واذا استقام رأيت صفحة منصلٍ واذا استدار رأيت عطف سوارِ

وقول الآخر فيه :

وليلٍ لنا بالسدّ بين معاطنٍ من النهر ينساب انسياب الأراقمِ
تمرُّ الينا ثم عنّا كأنها حواسدُ تمشي بيننا بالنمائمِ

وقول ابن ناهض في نهر النيل :

شاطئُ مصرٍ جنّةٌ ما مثلها في بلدِ
لا سيما مذ زخرفت جيلها المطّردِ
والرياح فوقهُ سرابيلٌ من زردِ
مسرودةٌ ما سيها داودُها بمبردِ
سائلةٌ وهو بها يرعد عاري الجلدِ
والفلك كالأفلاك بين حادرٍ ومصعدِ

وقول القيراطي في نهر بَرَدى بدمشق :

وكأنَّ ذاك النهرَ فيه معصمٌ بيد النسيم منقَّشٌ ومكتَّبُ
واذا تكسّر ماؤهُ أبصرتهُ في الحال بين رياضهِ يتشعّبُ
فالرَّوْض تشدو والنسيم مشبِّبٌ والنهر يسقي والحدائق تشربُ
وضياعوا ضاع النسيم بها فكم أضحى لهُ من بين روضٍ مطلبُ

وقول الآخر :

قد قال وادي جلّق للنيل اذ كسروهُ اعين جبهتي لك ترفعُ
فاجاب بحر النيل لما ان طغى عندي مقابل كلّ عين إصبعُ

وقول ابن المرخّم :

ولما جلا فصلُ الخريف محاسناً وصفّق ماء النهر اذ غرّد القمري
اتاهُ النسيم الرطبُ ارقص دوّحهُ فنقّط وجهَ الماء بالذهب المصري

وقول الآخر :

حيث التفتُّ رأيت ماء سائحًا ورأيتُ ظلاً
والنهر يفصل بين زهر الروض في الشطَّين فصلا
كبساطِ وشيٍ جرَّدت ايدي القيون عليهِ نصلا

وقول عبد الباقي العمري الفاروقي :

من قراب السحاب اذ جرَّد الودق سيوفَ الانهار كالسلسالِ
ويظلّ الاشجار في الروضة الغنّاء باتت مسحوبة الاذيالِ
قالت الدوحة الوريقة اني جنةٌ والسيوفُ تحت ظلالي

ومن وصف الغدران قول موفق الدين الانصاري :

ارى غدير الروض يهدي الصبا وقد ابثَّهُ سكونًا يدومْ
فؤادهُ مرتجفٌ للنوى وطرفهُ مختلج للقدومْ

وقول ابن المعتزّ :

ومزنة حار من اجفانها المطرُ فالروض منتظمٌ والقطر منتثرُ
ما زال يلطم وجه الارض وابلها حتى وقت خدها الغدران والنهرُ

ومن وصف الفوّارة قول بعضهم :

وبركة ماؤها يسمو بها أبدًا اذا جرى مسرعًا من كل دستورِ
كأنهُ اذ بدا سيفي الجو منتثرًا درٌّ تناثر من قضبان بلورِ

وقول ابن حجاج :

صنعتَ في دارك فوّارةً اشرقت في الارض بها الابطحا
فاض على نجم السما ماؤها فأصبحت ارضك تسقي السما

ومن وصف الشلال قول يوسف بن لؤلؤه :

بعيني رأيتُ الماء اللي بنفسهِ على رأسهِ من شاهقٍ تتكسَّرا
وقام على اثر التكسُّر جاريًا ألا فاعجبوا ممن تكسَّر قد جرى

وقول حفني بك ناصف في تدفق الماء من مناظر الترعة السوهاجيَّة باسيوط (مصر) يوم الاحتفال بفتحها في ١٤ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٠ :

قد جرى الماء من خلال الحنايا فتبدَّى لنا يثكل بهيِّ
كجيادٍ تسابقت في طرادٍ فتداعى الكميُّ فوق الكميِّ

او سهام قد فرّقت من بعيد وتلاقت لصالها في الرميّ

ومن وصف البرك قول ابن المعتزّ :

كأنّ البركة الفنّاء لما غدت بالماء مفعمةً تموجُ
وقد لاح الضحى مرآة عين قد اصقلت ومقبضها الخليجُ

وقول البحتري يصف بركة المتوكل من قصيدة وهو مشهور باوصاف البرك :

تنصبُّ فيها ولودُ الماء منجلةً كالخيل خارجةً من حبل مُجريها
كأنّما الفضة البيضاء سائلةٌ من السبائك تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا ابدت لها حُبُكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها
تحاجب الشمس احياناً يضاحكها وربّق الغيث احياناً يباكيها
اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبتَ سماء ركّبتْ فيها
لا يبلغ السمكُ المحصورُ غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمنَ فيه باوساطٍ مجنحةٍ كالطير تنقضُّ في جوّ خوافيها
لمنّ منحنٌ رحيبٌ في اسافلها اذا انحططنَ وبهوٌ في اعاليها
صوّرنَ الى صورة الدلفين يؤنسها منهُ انزواء بعينيه يوازيها
تغني بساتينها القصوى برؤيتها عن السحائب منجلاً عزاليها

ومن وصف الناعورة (الساقية) قول بعضهم :

وناعورةٍ قد أيست طيالها من الشمس ثوباً توق اثوابها الخُضرِ
كطاووس بستانٍ يدور ويجتلي وينفض عن اثوابه بَلَل القطرِ

وقول ابن نباتة :

وناعورةٍ قسّمتُ حسنها على واصفيها وعلى سامعِ
وقد ضاع نشر الربى فاغتدت تدورُ وتبكي على الضائعِ

وقول ابي جعفر بن وضّاح :

وباكيةٍ والروض يضحك كلّما أطلّت عليهِ بالدموع السواجمِ
يروقك منها إن تأملت نحوها زئيرُ أسودٍ والتفافُ أراقمِ
تحنّصن من ماء الغدير سبائكاً فنبتها في الروض مثل الدراهمِ

وقول الآخر :

وناعورةٍ حنّت وغنّت وقد غدت تعبر عن حال المشوق وتعربُ

ترقص عطف البان تيهاً لانها تغنّي لهُ طول الزمان ويشربُ

وقال ابن جنادة في تنفس الموج على شاطئ البحر :

أنظر الى البحر في أمواجهِ عجبٌ يأتي الى الشطّ احياناً وينعطفُ

كأنهُ ملكٌ تسعى الجيوش لهُ تقبّل الارض طوعاً ثم تنصرفُ

وقول الآخر : وزاخرٍ ليس لهُ صولةٌ الّا اذا ما هبّت الريحُ

وهو اذا ما سكنت ساكنٌ كأنما الريحُ بهِ روحُ

عيسى اسكندر المعلوف

علّة الفساد فساد الاعضاء

ما من امّةٍ الّا وقد دلّ ماضيها البعيد والمتوسط والقريب على ان لا فرق في السلطة بين ان تكون مطلقة الضمان او مقيّدة بدستور وانما الفرق في الرجال القابضين على زمام الاحكام لان ما يجيء بهِ الدستور قد يجيء بهِ السلطة المطلقة فربّ ملكٍ مطلق السلطان يفيد بلادهُ ورعيتهُ من التقدّم والتمتع بخيرات بلادهم ما لا تفيدهُ المجالس النيابية . ولا غرابة فان موالاة الملوك لرعاياهم بمثابة موالاة الآباء لاولادهم وبهذا الاعتبار هم خليقون بالسلطان المطلق لانهم اكثر شعوراً بالألم من جميع المجالس النيابية التي تتهافت عليها الامم في هذا الزمان . فان لم يكن الملك مطلق السلطان قلّ شعورهُ بأوجاع الرعية لتعلّق شؤونها بغيرهِ وذلك ممّا يسهل ادراكهُ على كل فرد من الناس

وعليهِ فعبثاً تجتهد الامم في تنويع سلطانها وباطلاً تتعب لانهُ مهما كان الملك المطلق السلطان عادلاً محبّاً شفوقاً اذا لم يكن الرجال المحيطون بهِ ذوي كفاءة وامانة واخلاص فسدت امورهُ وتعذر عليهِ اصلاح بلادهِ وحدهُ . وهكذا قل عن الدستور اذا لم يكن رجالهُ امناء مخلصين لان العبرة برجال السلطة لا بانواعها

وبديهي ان الملك يحكم شعبهُ بواسطة الرجال الذين منهم تتألف دوائر الحكومة فاذا غشوا تغلّبوا على عواطفهِ مهما كان مستقيماً صالحاً واذا اصلحوا فانهم ليردّونهُ الى العدل ولو كان الظلم سجيّتهُ وخصوصاً في هذا الزمان الذي لم يبقَ فيهِ حياة لاستبداد الملوك الّا اذا خلت قلوب رجالهم من الصلاح

وليس يخافُ ان طبيعة العدل واحدة مهما تعدّدت انواع السلطات والشرائع فليس

القانون الاساسي بالشيء الجديد كما يتبادر الى الاذهان بل هو كائن في طبيعة العدل الذي هو قاعدة الشرائع ومدارها وانما يخفيه الظلم ويظمسه الاستبداد

وواضح ان لا وظيفة للدستور ولا عمل سوى منع السلطة من التقدُّم في التسلُّط الى درجة الاستبداد وبما ان العدل لا يحتاج الى دستور الاَّ اذا خيف الاستبداد فاحتياجهُ في الحقيقة الى رجال منفذين لاحكامهِ لان الظلم قد يكون مع الدستور اذا لم يُعضَّد برجال مخلصين. أليست المجالس النيابية ذات سلطات فاي دستور يضمن لنا ان اعضاءها يرفعون فيها صوت الامة ولا يرفعون اصواتهم الخصوصية

وقد ارانا التاريخ امثلة العدل في السلطات المطلقة احياناً كثيرة فما من امة عاشت محكومة على الاطلاق الاَّ وقد قام فيها في بعض ادوارها رجال متَّعوها بملء العدل. والعثمانيون ما برحوا غير بعيدين من عهد السلطان عبد العزيز واكثرهم شاهد ملءَ التبسُّط في الحرية اذ كان ما يُعرَف اليوم عندهم بالاحكام الدستورية جارياً بينهم ايا مثمر على احسن ما يكون حتى كأن عرش السلطة المطلقة قد صيغت جواهرهُ من معدن الدستور. ظالع اية جريدة تصل اليها يدك من الجرائد التي كانت تُطبَع في ايامهِ تجدها ليست بأقل حرية من جرائد الامم الراقية في هذا الزمان. ناهيك انهُ كان ساهراً على راحة تبعتهِ ورفاهيتها بدليل انهُ افتقدها اكثر من مرَّة بارادات سنية واوامر عالية ايذاناً بالمساواة على اختلاف النحل والملل اذ كان ابغض شيء اليهِ ان يراها منقسمة على نفسها تتحكم في قلوبها شياطين التفريق والتمزيق

ولا يشكل بما كان من ارتكاب الحكام واعتساف رجال الحاكم وبما ناب البلاد في آخر ايامهِ من القلاقل والمشاكل — لان علَّة ذلك الفساد كلهِ فساد الاعضاء. ما حيلة ملكٍ عادل مستقيم يعرف الالم في جسم شعبهِ كما يعرفهُ في جسمهِ اذا هو لم يلقَ رجالاً يتولون الرعية بما تقتضيهِ مقاصدهُ النبيلة هل في وسعهِ ان يخلق رجالاً والله وحدهُ القادر على الخلق

هذا وممَّا لا بد من الالماع اليهِ هنا هو ان العدل قائم في الارض على مقدار محدود فليس لأي نوع كان من انواع السلطة ان يزيد عليهِ شيئاً ممَّا ينقصهُ فاذا اتفق لامةٍ ان ترى مزيداً فلا يكون المزيد الاَّ شرّاً بدون ريب. اما شرائع الانسان فلا تخلو من النقص لان من العدل ما قد اغفلهُ المشترعون لاسباب لا محل لذكرها هنا وحبذا ان يقوم على الارض مشترعون نزهاء يلمون بجميع فروعهِ. فمن المحال ان توجد الراحة التامة للانسان ما دام نظامهُ الاجتماعي عاملاً على اكل قويهِ ضعيفهُ

وبيان اختلت الشرائع شيئاً من العدل او احاطت بجميع فروعه فلا مراء في انها مفتقرة في ذاتها الى اخلاص رجالها حتى تستولي قوة الانتصار للحق والعدل فان لم يسعدها الحظ برجال يخدمونها بصدق وامانة تسمع بها ولا ترعاها. ومعلوم ان هؤلاء الرجال قليلون حتى عند الامم الراقية واسوء الحظ نجد القلة عندنا على نوع أخص. انظر في سلك رجال الحكومة رجلاً يحدثك اليوم عن ظلم تجده عمَّا قليل قد صار في مقدمتهم — وهذه مسألة ينبغي النظر فيها بعين الاهتمام لانها آفة كل اصلاح. وعندي ان انجع دواء لهذا الداء وضع نظام لاجراء النظام وسآتي على ايضاح ذلك في ختام الكلام

وواضح ان الحكومة اذا كانت مستقيمة الاحوال بعيدة عن مراعاة الخواطر والاغراض شديدة العزم في الاجراء لا تعرف الرشوة اسماً ولا الفساد معنًى تحفظ القوانين والنظام اساساً لكل عمل فهي الدستور بعينه ولو بلغ اطلاق عنانها عنان السماء وهي على ضد ذلك اذا كانت دستورية ولم تكن كذلك. مثالهُ الحكم الجمهوري وهو موضوع الاطناب عند اكثر الامم فانهُ اذا لم يكن رجالهُ ممن يعيشون لغيرهم كما يعيشون لانفسهم ليس بأخف وطأة من الاستبداد الملكي الجائر

فكل ما يوضع لأمر ما اذا لم تتهيأ اسبابهُ انصرف الى عكسهِ ان خيراً فالى شر وان شراً فالى خير. ادخل مدرسة تهذيبية ترقى بك في اوج الاستقامة والدماثة ثم اخرج منها الى قوم يتهكم الخبث في اخلاقهم فلا يمضي عليك حين من الزمن حتى تصير مثلهم. وعاشر قوماً متأدبين فضلاء فلا تشعر بنفسك الا وقد صرت واحداً منهم ولو لم تدخل مدرسة. اذن كل شيء في العالم خيراً كان او شراً انما يكون باسبابهِ. فنحن اليوم نفرح بالدستور لاغضائهِ الحرية الاجتماعية ولكننا نخشى ان لا نجد لدينا من اسباب الخير ما يمكننا من استخدامها في سبيلهِ فتنصرف بنا الى الشر كبف لا وهي قد تكون كذلك حتى عند الامم الراقية فبالاحرى كثيراً جداً ان تكون عندنا لمحض الشر اللهم الاَّ اذا جارينا في ما هو معمول بهِ عندهم من اسباب الخير فنحصل اذ ذاك على الخير قدر ما يكون لدينا من الشر كما هي الحال عندهم وبذلك تبدو الموازنة بين الاثنين وويل لهؤلاء من ويلين

هذا واذ كان كمال السياسة وتوفير سعادة الامة لا يتم الاَّ بكفاءة رجال السلطة واخلاصهم في الخدمة واستقامتهم في الجملة كان من السهل على كل امة ان تدرك هذه القاعدة فتعرف هل من الممكن ان تتمتع بسياسة مستقيمة اذا لم يكن فيها رجال أكفاء مخلصون

وليس المراد مما تقدم وقد ذكرنا من الاستبداد أمرهُ ان لا حاجة الى مجالس نيابية . كلاَّ . لان الخير الذي نهتم اليوم بالسعي وراءهُ انما لتوقمهُ بما أعطيناهُ من الحرية الاجتماعية. ثم انهُ لمن المعلوم ان مطالب الاصلاح كثيرة فما الحرية وحدها بالشيء الذي ينبدنا نقصًا فقبل كل شيء ينبغي ان نعلم ان المقدار الذي يمكن ان تصل اليهِ ايدينا من اشياء الاصلاح لا يكون الاَّ بنسبة ما فينا من المواهب والاستعداد وان تفاوت الامم في احراز القوة ونشر المدنية نتيجة تفاوتهم في الاصلاح وحدهِ دون سواهُ وعليهِ فكل امة ليس في وسعها ان تحصل منهُ على مقدار يضمن لها احراز القوة تبيت هدفًا لعوامل الضعف والتقهقر مهما كانت كبيرة

ومعلوم ان بلوغ الكمال في هذا العالم ضرب من المحال غير انهُ شتَّان بين امة قريبة من الكمال واخرى غير بعيدة عن النقصان التام. وواضح ان جميع الامم تجدُّ اليوم وراء الاصلاح وما نحن غير امة من امم العالم لاسيما واننا احوجهم اليهِ لكثرة عناصرنا وتباين نزعاتنا ووجود الخلل في دوائرنا ونفهقرنا بالنظر الى الامم الراقية ولدفع الهجمات الخارجية التي تتابعنا حينًا بعد حين وذلك مما لم يقوَ عليهِ الرومانيون قديمًا على ما كان لدولتهم من امتداد السلطة وفخامة الملك . وفي الجملة فكيفما نظر العثماني في هذا الزمان رأى لهُ علاقة مهمة باصلاح الشؤون العمومية بحيث لم يبقَ في وسعهِ الاستمرار على الترقيع الموقت الذي نمردناهُ من يوم قعدت بنا فخامة الملك والسلطان عن الاهتمام بما يحرزهُ غيرنا من مفاخر القوة والعلم والعرفان لانهُ قد عرف حق المعرفة ان ليس وراء ذلك الترقيع غير اتساع الخرق الى درجة تبطل عندها كل حيلة

لا جرم اننا لفي اشد الحاجة الى رجال يخدمون الدولة والامة بالصورة التي يخدمون بها انفسهم لان الاصلاح انما يتم بالعمل لا بمجرد الدستور فمن الباطل ان تكل امورنا اليهِ اذا لم يكن عندنا رجال تعمل . ويظن الكثيرون من العثمانيين ان وراء الاكمة رجالاً يبارون في مضمار الاصلاح اكابر رجال الامم الراقية . اما كاتب هذه السطور فانهُ يسأل الله ان يخيب ظنهُ تحقيقًا لما يظنون لان من يظن ان البلاد خالية ممَّن يشعر بالالم في غير جسمهِ وبالنقصان في غير مالهِ لا يستطيع ان يقول بصحة تلك الظنون . نعم كنا نتحدث اليوم بالالم والنقصان غير ان شعورنا بذلك ضعيف جدًّا ألا ترى ان بعضنا لا يفرقون بين الدين والوطن وان البعض الآخر لم يتعوَّدوا على خدمة وطنهم لحرمانهم من حقوقهِ . على انهُ مهما يكن من امورنا فليس من العدل ان نقول بخلو البلاد من الرجال وانما ينبغي ان نحقق كونهم قلالاً جدًّا وان القلة لا تقوم مقام الكثرة

واقول في الختام ان لا سبيل الى تكثير الرجال الاَّ بوضع قانون شديد الوطأة سيف القصاص ينال كل فرد من افراد الهيئة الحاكمة بما يجنيهِ من ثمار الاعوجاج بلا استثناء. فقد آن للامم ان تعرف ان رجال المجالس النيابية انما يكونون في كثير من الاحوال نوَّاباً عن انفسهم لا عن الامَّة التي انتخبتهم للدفاع عن مصالحها وحقوقها. فلا يخدعنَّ الامم مجرد الاسم فان على هذه الارض اسماء كثيرة لا مسميات لها واكثر ما يكون ذلك عند الامم المتمدنة ألا ترى كيف انهم يغتصبون رزق الضعيف ثمَّ يعطونهُ فتاتاً في الشتاء وثلجاً سيف الصيف ويسمون العطاء احساناً . او لا ترى كيف يدعون المدنية واساسها الظلم وهنالك كثيرٌ من الاسماء الخيالية التي لا حقيقة لها

واعود فاقول ان لا سبيل الى تكثير الرجال الاَّ بوضع قانون شديد العقاب وعندي ولا اخشى لومة متعنّت لا يعرف للقصاص مزية انهُ يجب ان تكون وطأة القصاص غير منظور فيها الى نسبة الجرم لان مَن يفعل الشر لا يقتصر فيهِ على مقدار محدود بل انما يفعل منهُ ما تصل اليهِ يدهُ قلَّ او كثر . ولا بد من جعل القانون قاضياً في احوال كثيرة باعدام كل متموّج من رجال دوائر الحكم ولو خطيراً عالي المقام اذ لا شرف في هذا العالم يضاهي شرف الصدق في الاحكام التي عليها تُنشى الحقوق الافرادية والعمومية بل هو الشرف الحقيقي الوحيد الذي يمكن الاركان اليهِ . فقد آن للانسان ان ينزع عن العقائد الباطلة والخرافات السخيفة وان يخرج من هذه الصروح المؤسَّسة على الرمل الى خيام مضروبة اطنابها في الارض التي يعيش عليها فان كان لا بد لهُ من ان يعيش لاصطلاحات قديمة قد اطلقتها الايام فما هو افضل تمدُّنهِ اذن . شدَّ ما كذب هذا التمدن وخدع . انظر اصلحك الله كيف يسرفون الى الاعدام كل مَن يخون دولتهُ فما الفرق بين مَن يخون الدولة ومن يخون الرعية . فاذا كان الانسان يعيش لهيئة حاكمة تأمر باعدام من يخونها ولا تبالي باعدام خائني الهيئة المحكومة فهل من فرق في هذه السلطة المستبدَّة بين ان تكون للملك او للدستور او للجمهورية او للشيطان . كن على يقين ايها الانسان ان لا خير للامم في اي نوع كان من انواع السلطة الاَّ بالرجال ولا يكون هؤلاء الاَّ بالقصاص الصارم وما أصدق ذلك القائل " ولكل شيء آفة من جنسهِ " فان لم يُعاقب الاشرار بأشر العقاب فلا ترجُ لهذا العمران حياة والسلام

مرسين جرجس خولي

المدارس في القطر المصري

نشرت ادارة الاحصاء كتاباً مفيداً عن تعداد المدارس في القطر المصري في العام الماضي وانواعها وعدد تلامذتها ونسبتهم الى عدد السكان وغير ذلك مما يستدلُّ منهُ على سير التعليم في هذا القطر فرأينا ان نلخص منهُ الحقائق التالية

بلغ عدد سكان القطر في الاحصاء الاخير الذي احصتهُ الحكومة المصرية سنة ١٩٠٧ نحو ١١ مليوناً و١٧٥ الفاً المصريون منهم احد عشر مليوناً ونحو ٣٨ الفاً والباقون من امم مختلفة بين يونانيين وايطاليين وانكليز وفرنسويين ونمسويين والمانيين ما عدا جيش الاحتلال. ويعنى بالمصريين كل سكان القطر من مصريين وعرب وترك وارمن وما اشبه. وقد بلغ عدد اولادهم الذين يترددون على المدارس والكتاتيب من صبيان وبنات ٢٨٦٦٣٩ وهم على ما في هذا الجدول

الجنس	العدد			التلامذة			النسبة في المئة
	ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع	ذكور اناث
المصريون	٥٥٢٤٠٨٨	٤٤٧٥٥٥	١١٠٠٣٨٥٦٤٣	٣٠٣٠٦٢٣٧٠٥٣	٢٦٧٣٥٩	٤٫٣ ٠٫٠	
البرتانيون	٣٥١٧٦	٢٧٧٩٨	٦٣٩٧٤	٤٦٢٩	٣٣٠٠	٧٩٢٩	١٣٫٠ ١٢٫٠
الايطاليون	١٧٠٧٨	١٧٨٤٨	٣٤٩٢٦	٣٥٣٨	٢٨٤١	٦٣٧٩	٢١٫٠ ١٦٫٠
الانكليز	٨٣٨٢	٦٤٧١	١٤٧٥٣	٩٠١	٧٦٣	١٦٦٤	١٠٫٠ ١٢٫٥
الفرنسويون	٧٤١٥	٦٩٧٦	١٤٥٩١	٩٧٩	٨٦٥	١٨٤٤	١٣٫٠ ١٢٫٤
النمسويون	٣٢٤٨	٤٤٥٧	٧٧٠٥	٤٦٧	٤٧٧	٩٤٤	١٤٫٠ ١٠٫١
الالمانيون	١٠٠٥	٨٤٢	١٨٤٧	٢٣١	٢٩٩	٥٣٠	٢٢٫٠ ٣٥٫٠

ونظرة واحدة الى هذا الجدول تكفي للدلالة على قلة التلامذة المصريين بالنسبة الى عدد السكان فان الذكور منهم نحو اربعة في المئة والاناث نحو نصف في المئة فقط مع ان عدد التلامذة من سائر الامم النازلة في القطر المصري يختلف بين ١١ في المئة و ٣٥ في المئة وشرطةُ نحو ١٥ في المئة اي نحو ستة اضعاف التلامذة المصريين نسبة الى السكان. واذا اخرجنا من المصريين كل السوريين والاتراك والارمن ونحوهم من الامم العثمانية غير المصرية لقلَّت نسبة التلامذة من المصريين ايضاً

ولقد ظهر من تعداد السكان المصريين ان الذين سنهم بين ٥ و ١٩ اي هم في سن التعلم يزيدون على ثلاثة ملايين و٧٠٠ الف وواضح مما تقدم ان الذين يترددون على المدارس منهم نحو ٢٣٧ الفاً لا غير فلا يتردد على المدارس عشر الاولاد الذين في سن التعلم . ولا ينسب ذلك الى ضيق المدارس لانها لم تزدحم حتى الآن ولكنها لو ازدحمت لما وسعت اكثر من عشر الاولاد الذين في سن التعلم لان هذا العشر يبلغ اكثر من ٣٧٠ الفاً فهل في الامكان ان يبلغ عدد الكتاتيب والمدارس من كل الانواع عشرة اضعاف ما هو الآن وان يزيد عدد المعلمين والمعلمات عشرة اضعاف ايضاً . واذا فرضنا انهُ يمكني ان يتردد على المدارس نصف الاولاد الذين في سن التعلم حتى يصير اجبارياً فهل يمكن ان يزيد عدد المعلمين والمعلمات خمسة اضعاف ما هو الآن حتى يصير التعليم اجبارياً وتصير المدارس كافية لنصف الاولاد الذين في سن التعلم ويصير المعلمون والمعلمات كافين لتعليمهم كلهم . واذا زادت مدارس الصبيان ومعلموها الى الحد المطلوب فهل في الامكان ان تزيد مدارس البنات ومعلماتها ايضاً الى ذلك الحد

قلنا ان عدد التلامذة المصريين يبلغ ٢٣٧٠٥٣ و يظهر من جداول الاحصاء ان الجانب الاكبر منهم في الكتاتيب لا في المدارس فان عدد اولاد الكتاتيب من الصبيان والبنات ١٧٥٥١٥ واليافون وهم ٦١٥٣٨ فقط في سائر المدارس

وقد كان عدد الكتاتيب ٤٣١٩ سنة ١٩٠٧ وعدد معلميها ٦٧٩٥ فكل معلم منهم يعلم نحو ٢٦ ولداً والمرجح ان الاولاد الذين في سن التعلم في الكتاتيب اي بين ٦ سنوات و١٠ سنوات لا يقلون عن مليوني ولد من الصبيان والبنات فاذا اريد تعليمهم كلهم لزم لهم نحو ٧٧ الف معلم ومعلمة واذا فرضنا ان متوسط اجرة المعلم والمعلمة عشرون جنيهاً في السنة وهي اقل اجرة يقبل بها من يعرف القراءة والكتابة بلغت اجور المعلمين والمعلمات لهذه الكتاتيب اكثر من مليون ونصف مليون من الجنيهات في السنة واذا فرضنا ان الكتاتيب اللازمة لذلك تبلغ خمسين الف كتاب وان متوسط ما يلزم لبناء كل كتاب منها اربعون جنيهاً فيلزم لبنائها كلها مليونان من الجنيهات . والصعوبة الكبرى ليست في ايجاد المال اللازم لبناء الكتاتيب واجور معلميها بل في وجود المعلمين والمعلمات لها فانهُ قد لا يصعب ان يوجد الف معلم او الفا معلم الى خمسة آلاف او عشرة آلاف ولكن بين هذا العدد وبين السبعين الفاً بون شاسع وشقةٌ لا نرى كيف يمكن اجتيازها لاسيما وان عدد هؤلاء الاولاد يزيد سنوياً زيادة كبيرة جداً لا تقل عن ثلاثين الفاً اي انهم يزيدون سنوياً زيادة تقتضي اكثر من الف

معلم ومعلمة فلو استطاعت المدارس الموجودة الآن ان تخرج سنوياً الف معلم ومعلمة مستعدين للتعليم في الكتاتيب لما كفوا الزيادة السنوية في عدد الاولاد الذين في سن التعلم

ولا بدَّ لنا قبل ترك الكتاتيب من الالتفات الى مَن فيها من الصبيان والبنات فقد كان عدد من فيها من الصبيان ١٦٠٩٣٠ وعدد من فيها من البنات ١٤٥٨٥ اي ان عدد البنات اقل من عشر عدد الصبيان فاذا لزمنا ان نزيد عدد كتاتيب الصبيان ستة اضعاف لكي تكفيهم لزمنا ان نزيد عدد كتاتيب البنات اكثر من ستين ضعفاً لكي تكفيهن

الا ان ما ظهر من الهمة في انشاء الكتاتيب منذ عشر سنوات الى الآن يدلُّ على ان تعميم التعليم آخذ في الانتشار بسرعة عظيمة وقد يظهر لاول وهلة انهُ اذا استمرَّت زيادة الكتاتيب في السنوات العشر التالية على نسبة الزيادة في العشر السنوات السابقة بلغت بعد عشر سنوات ما يكفي لكل اولاد القطر ففي سنة ١٨٩٨ كان عدد الكتاتيب ٣٥٦ وكان عدد تلامذتها ١٠٤٥٩ فزاد عدد الكتاتيب في عشر سنوات اكثر من اثني عشر ضعفاً وزاد عدد تلامذتها نحو ١٧ ضعفاً

ومعلوم انهُ اذا زادت الكتاتيب اثني عشر ضعفاً صارت كافية لكل اولاد القطر ولكن الزيادة في السنوات العشر الماضية ناتج أكثرها من ان اكثر الكتاتيب لم يكن تحت مراقبة الحكومة فصار تحت مراقبتها لا ان تلك الكتاتيب قد انشئت جديداً. فالكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة وليس لها اعانة كان عددها ٢١٩٤ سنة ١٩٠٥ فصار عددها ١٤٢٠ سنة ١٩٠٧ وليس المراد بذلك ان بعضها أُقفل بل المراد ان بعضها صار يعطى اعانة لتُ مع الكتاتيب التي تنال الاعانة. والكتاتيب التي لها اعانة من الحكومة كان عددها ١١٠ سنة ١٨٩٨ فصار عددها ٢٧٦١ سنة ١٩٠٧ فليس المراد ان ما زاد منها انشئ كلهُ في هذه السنوات العشر بل المراد انهُ لم يكن يأخذ اعانة فصار يأخذها واحصي مع الكتاتيب التي تأخذ اعانة. اما الكتاتيب الاميرية التي يدل عددها على ما انشئ منها حقيقة فقد زاد عددها في السنوات العشر الماضية على ما في هذا الجدول

السنة	عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	التلامذة	التلميذات
١٨٩٨	٥٥	٠٢	٢٤٨١	٤٤٢
١٨٩٩	٥٦	٩٨	٢٥٣٩	٥١٩
١٩٠١	٨٦	١٤٥	٣٣٢٣	٦٤٣
١٩٠٤	٨٧	١٥	٣٢٧	٧٥٩

السنة	عدد الكتاتيب	عدد المعلمين	التلامذة	التلميذات
١٩٠٢	٨٨	١٥٨	٣٥٠١	٨٤٤
١٩٠٣	٩٣	١٩٧	٣٩٤٠	١٣٢٦
١٩٠٤	٩٤	٢٠٠	٤٣١٨	١٣٥٣
١٩٠٥	١٠٩	٢١١	٥٥٧٧	١٨٣٣
١٩٠٦	١٢٣	٢٦٦	٦٩١٠	٢١٣٥
١٩٠٧	١٣٨	٣١٥	٨١٦٩	٢٨٤٠

فالزيادة مضطردة في عدد هذه الكتاتيب وعدد معلميها وتلاميذها ولكنها ليست بالغة حدًّا كبيرًا جدًّا فقد زاد عدد الكتاتيب نحو ضعفين وزاد عدد التلامذة نحو خمسة اضعاف وهي زيادة حسنة جدًّا وعسى ان تستمر على هذا النمط في السنوات التالية

ثم ان ادارة الاحصاء لم تدّع انها احصت كل كتاتيب القطر بل قالت ان بعض الكتاتيب الاهلية لم تصل بياناتها الى ادارة الاحصاء وقولها هذا يشعر بان تلك الكتاتيب قليلة ولعلها كذلك

ونترك فصل الكتاتيب الآن ونلتفت الى غيره من فصول هذا التقرير المفيد واول فصل ننظر فيه منها فصل المدارس الاميرية

كان عدد التلامذة في المدارس الاميرية في العام الماضي ١٣٦٠٨ واكثرهم يدفعون ما تطلبهُ الحكومة منهم من اجرة تعليمهم والذين يتعلمون منهم مجانًا ١٨٢٩ فقط . واكثر هؤلاء التلامذة من المصريين فانهم ١٣٤٨٢ وليس بينهم من الامم الاخرى سوى ١٢٦ تلميذًا وهم ٣٩ من اليونان و١٨ من الفرنسويين و١٦ من الايطاليين و١٢ من الانكليز و٩ من النمسويين و٤ من الالمانيين و٢٨ من امم اخرى

ولا يخفى ان البلاد تنفق على نظارة المعارف اكثر من ٤٥٠٠٠٠ جنيه في السنة وكل هذا المال تقريبًا تنفقهُ على تلامذة المدارس وادارة ديوان المعارف فمتوسط ما تنفقهُ على التلميذ منهم نحو ٣٣ جنيهًا عدا ما يدفعهُ هو لنظارة المعارف واذا اضفنا الى هؤلاء التلامذة تلامذة كتاتيب نظارة المعارف انحطت نفقات التلميذ الى ١٨ جنيهًا في السنة وهي نفقة طائلة جدًّا لا مثيل لها في بلاد اخرى . فميزانية المعارف في بلاد اليابان نحو ستمئة الف جنيه وعدد التلامذة في مدارسها نحو ستة ملايين فتكون نفقة كل تلميذ عشرة غروش في السنة واذا اغضينا عن تلامذة الكتاتيب عندهم وحسبنا ان هذه النفقات كلها تنفق على تلامذة

المدارس المتوسطة والعالية فقط فعدد هؤلاء نحو ستمئة الف فتكون نفقات التعليم جنيهاً واحداً على كل تلميذ. وميزانية المعارف في فرنسا نحو احد عشر مليوناً من الجنيهات وعدد التلامذة في مدارسها خمسة ملايين ونصف مليون فيصيب كل تلميذ منهم جنيهان في السنة. وعدد التلامذة في مدارس بريطانيا العظمى نحو ستة ملايين ونفقات التعليم فيها نحو ١٥ مليون جنيه فيصيب كل تلميذ جنيهان ونصف جنيه في السنة وفرنسا وانكلترا اغنى ممالك الدنيا واكثرها اتفاقاً على التعليم ولا تبلغ نفقات التلميذ فيها اكثر من جنيهين ونصف جنيه في السنة ومع ذلك يشكو نظار المدارس المصرية وتلامذتها من قلة رواتبهم. وللرسليين الاميركيين ١٥٦ مدرسة في هذا القطر وعدد تلامذتها ١٢٦٤٠ فلو انفقوا على تعليمهم كما تنفق الحكومة على مدارسها لوجب ان تكون نفقاتهم السنوية ٢٣٠ الف جنيه ولا نظن انهم ينفقون عشر ذلك

ومما هو حريٌّ بالذكر بنوع خاص اهتمام البزلاء بالتعليم وكثرة مدارسهم على قلة عددهم في هذا القطر. واكثر التلامذة في مدارسهم من الوطنيين لا من ابناء جلدتهم ففي المدارس الاميركية ١٢٦٤٠ تلميذاً وتلميذةً والوطنيون منهم ١٢٣٥٦ والباقون وهم ٢٨٤ من سائر الامم القاطنة في القطر المصري. وفي المدارس الفرنسوية ١٧٨٠٥ والمصريون منهم ٩٦٩٢. وفي المدارس الانكليزية ٣٢٨٧ والمصريون منهم ١٧٣٦. وفي المدارس الايطالية ٥٧٦٦ والمصريون منهم ١٦٣٦. فالاميركيون من اكثر الناس تعليماً للوطنيين ويتلوهم في ذلك الفرنسويون ثم الانكليز والايطاليون. الاّ ان اكثر التلامذة الوطنيين في هذه المدارس من الاقباط ففي المدارس الاميركية ٩١٤٣ من التلامذة الاقباط وفي المدارس الفرنسوية ٣٥٠٥ وفي المدارس الايطالية ٨٩٥. الاّ المدارس الانكليزية فان اكثر تلامذتها من المسلمين لا من الاقباط

ومن الغريب ان التلامذة الذين يتعاطون التعليم الثانوي منهم المصريون ٣٧٦٧ والاجانب ١٨٠٠ مع ان عدد الاجانب نحو جزء من ثمانين من عدد السكان. واذا استثنينا تلامذة الازهر ونحوهم من تلامذة التعليم العالي وجدنا ان عدد الطلبة المصريين نحو ١٣٠٠ وعدد الطلبة الاجانب ٨٤٢

وكيفما قلبنا نظرنا في هذا الاحصاء رأينا اهتمام الاجانب بالتعليم اعظم جداً من اهتمام الوطنيين. ولكن اهتمام الوطنيين قد زاد كثيراً في السنتين الاخيرتين وعسى ان يزيد هذا الاهتمام سنة فسنة

سورية في عصر فولنه

منذ نوف وربع قرن زار مصر والشام عالم فرنسوي مشهور وهو الكونت فولنه وتعلَّم العربيَّة وبحث في احوال البلاد الطبيعيَّة والاجتماعيَّة والَّف في ذلك كتاباً مشهوراً طُبع بالفرنسوية والانكليزية سنة ١٧٨٧ ذكر فيهِ اموراً كثيرة قلما تخطر على بال كاتب شرقي ولكنها ضرورية لمعرفة احوال البلاد في ذلك العصر . مثال ذلك انهُ وصف اول مطبعة انشئت في جبل لبنان فقال ما خلاصتهُ : — انشأ اليسوعيين مطبعة في حلب في بداءة القرن الثامن عشر واتفق لشاب اسمهُ عبدالله زاخر ان قرأ العربيَّة على ادبائها وتعلم فن الطباعة واتى جبل لبنان ونزل في دير مار حنا الشوير وانشأ فيهِ مطبعة وصنع حروفها بيديهِ وطبع بها المزامير وكان ذلك سنة ١٧٣٣ فراجت نسخهُ جدًّا في جبل لبنان فكرر طبعهُ مراراً وصحح كتباً كثيرة من الكتب التي ترجمها اليسوعيون وطبعها وقد طبع حتى الآن (اي حتى عصر فولنه) ثلاثة عشر كتاباً وهي ميزان الزمان للاب نيرمبرج اليسوعي واباطيل العالم لديداكو ستلاً اليسوعي ومرشد الخاطي لالويس غرناييد اليسوعي ومرشد الكاهن ومرشد المسيحي وقوت النفس وتأمل الاسبوع والتعليم المسيحي وتفسير مزامير التوبة السبعة والمزامير والنبوات والانجيل والرسائل والسواعية . وكان يصنع الامهات بيدهِ ويصبُّ الحروف ويجمعها

وتوفي عبدالله زاخر سنة ١٧٥٥ وخلفهُ تلامذتهُ ولكن شأن المطبعة كان قد انحطَّ لما رآها فولنه . والظاهر ان فولنه لم يكن يعلم ان مطبعة الشوير قديمة وان المزامير طبع فيها سنة ١٦١٠ اي بعد اختراع الطباعة بزمن يسير ونستغرب كيف انهُ لم يعلم ذلك من رهبان ذلك الدير مع انهُ اقام فيهِ زماناً طويلاً ووصف مكتبة ذلك الدير وقال انهُ كان فيها من كتب الخط المسيحيَّة ما يأتي

(١) تقليد المسيحي (٢) بستان الرهبان (٣) علم النيَّة (ليوزمياوم) (٤) مواعظ سيناري (٥) لاهوت مارتوما (٦) مواعظ فم الذهب (٧) قواعد النواميس (لكلودفرتيير) (٨) مجادلات الاباء جورجي (٩) المنطق (١٠) نور الالباب (١١) المطالب والمباحث (للطران جرمانوس فرحات) (١٢) ديوان جرمانوس (١٣) ديوان الخوري نقولا اخي عبدالله زاخر (١٤) مختصر القاموس

ومن كتب الخط الاسلامية ما يأتي : —

(١) القرآن (٢) قاموس الفيروزابادي (٣) الفية ابن مالك (٤) تفسير الالفية (٥) الاجرومية (٦) علم البيان للتفتزاني (٧) مقامات الحريري (٨) ديوان ابن الفارض (٩) فقه اللغة (١٠) طب ابن سينا (١١) مفردات ابن البيطار (١٢) دواة الاطباء ؟ (١٣) عبارات المتكلمين (١٤) نديم الوحيد (١٥) تاريخ اليهود (لبوسيقوس) (١٦) الهيئة على طريقة بطليموس

ثم قال ولم يكن في بلاد الشام حينئذٍ غير هذه المكتبة ومكتبة الجزار . ولا بدَّ من انهُ اخطأ في حكمهِ هذا لانهُ كان في دمشق اكثر من مكتبة . ولما انشئت مدرسة عبيه والجمعيَّة السورية لم يتعذَّر عليهما ان تجمعا كتبًا كثيرة من الكتب الخطيَّة من انحاء سورية ولما الَّف الامير حيدر تاريخهُ كان في مكتبتهِ كثير من كتب التاريخ كاخبار الدول لابن العبري وتاريخ صاحب صور وتاريخ ابن سباط ومروج الذهب وتاريخ البيعة

ولقد كانت اديرة الرهبان ملاجئ للاسفار العلميَّة من قديم الزمان ولو جهل الرهبان ما فيها في غالب الاحيان ولكن قلما يخطر على البال انهُ كان في دير من اديرة لبنان مثل قاموس الفيروزابادي والفيَّة ابن مالك ومقامات الحريري وديوان ابن الفارض ومفردات ابن البيطار ونحو ذلك من كتب اللغة والعلم والادب

هذا ويظهر من رحلة فولنه ان خيرات البلاد الزراعية كانت وافرة جدًّا رغمًا عن فساد الاحكام . قال ما خلاصتهُ غادرت طرابلس في شهر تبراير (شباط) وكانت الاشجار قد ازهرت والخضر قد اينعت فلما بلغت عين طورا رأيت النباتات في بداءة ظهورها ولما وصلت الى دير مار حنا الشرير رأيت الثلج يعلي الارض ولم ينكشف عن جبل صنين الاَّ في اواخر ابريل مع ان الورد كان قد تفتح في الوادي الذي تحتهُ . وكل الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة مجموعة في تلك البلاد النطيسة وفي ساعة واحدة ينتقل المرء من اقليم الى اقليم . ومما يزيد في نزهة البلاد ومزاياها تنوُّع حاصلاتها . ولو استخدمت الصناعة لمساعدة الطبيعة لانتجت تلك البلاد كل حاصلات المسكونة في ما لا يزيد اتساعهُ على عشرين غلوة . والآن رغمًا عن فساد الاحكام وظلم الولاة تتدهل من تنوُّع خيرات البلاد فانها كلها تنتج القمح والمرطان والشعير والفول والقطن ويختص بعضها ببعض المزروعات ففي فلسطين يجود السمسم الذي يستخرج منهُ زيت الشيرج والدخن وهو مثل دخن مصر . وتجود الذرة في سهل بعلبك والارز في سواحل الحولة وقد شرع الاهلون يزرعون قصب السكر بكثرة في سواحل صيداء وبيروت فوجدوهُ مثل قصب وادي النيل . ونبتت نبات النيل من غير زرع على ضفاف الاردن في بلاد بيسان ولا يحتاج الاَّ الى قليل من العناية ليجود نوعهُ . ويزرع في آكام اللاذقية كثير

من التبغ وهو اكبر اصناف التجارة بين سورية ودمياط والقاهرة وقد انتشرت زراعتهُ في كل جبال سورية . اما من جهة الاشجار في البلاد شجر الزيتون ولاسيما في انطاكية والرملة وعلى شجر التوت تتوقف ثروة بلاد الدروز بما يربى عليهِ من دود الحرير وحريرهُ من اجود ما يكون والكروم قائمة على المسامير او متعرشة على شجر السنديان ويخرج من عنبها خمر بيضاء وحمراء تزربان يخمر بوردو . وكان في جنائن يافا شجرتان من اشجار القطن الهندي . وفي مشهورة بليمونها وقد رأيت واحدة من ليمون الكباد ثقلها ثمانية ارطال . وبطيخ يافا يفضَّل على بطيخ البرلس . وتمر غزة مثل تمر مكة ورمانها مثل رمان الجزائر وبرتقال طرابلس مثل برتقال مالطة وتين بيروت مثل تين مرسيلية وموزها لا يقلُّ عن موز سنت دومنغو وتمتاز حلب بشجر الفستق وتفتخر دمشق بكل الاثمار التي تمتاز بها فرنسا وحقَّ لها الافتخار فتفاحها مثل تفاح نورمندي وخوخها مثل خوخ تورين ودراقنها مثل دراقن باريس وفيها عشرون صنفاً من المشمش . وبشواطئ سواحل سورية الصيد الذي يربى عليهِ دود القرمز وقرمزها على غاية الجودة مثل قرمز المكسيك وسنت دومنغو واذا اعتبرنا ان جبال اليمن التي تنبت اجود انواع البن في امتداد من جبال سورية وان تربة البلادين واحدة واقليمها يكاد يكون واحداً حكمنا انهُ يمكن زرع البن في سورية . وبلاد ممتازة هذا الامتياز في اقليمها وجودة تربتها لا يستغرب حسبانها دائماً اطيب بلاد الله بقعة وقد عدها اليونان والرومان من اجمل بلدانهم كلها وقالوا انها ليست دون القطر المصري

وفي البلاد كل الحيوانات الاهلية المعروفة في اوربا وفيها ايضاً الجاموس والجمل ومن الحيوانات البرية الغزال والخنزير البري ولكنهُ اصغر من خنزيرنا البري واقل منهُ شراسة وفيها قليل من الذئاب والثعالب وكثير من بنات آوى وهي التي يسميها اهالي مصر ذئاباً . وفي بعض جهاتها الضبع والنمر ولكن ليس فيها اسود وتكثر فيها الطيور المائية والارانب والحجال

والتفت الى احوال الزراعة في الايالات السورية ايالة ايالة او لواء لواء فتقال في الكلام على ايالة حلب ان فيها سهلين وسيعين سهل انطاكية الى الغرب وسهل حلب الى الشرق والارض شديدة الخصب لا يكاد المطر يقع فيها حتى تنبت نباتاً طيباً يدل على خصبها ولكن اكثرها بور لا يزرع الآن وقلما يوجد اثر للاعتناء بالزراعة حول المدن والقرى واكثر غلاتها القمح والشعير والقطن ويزرع في جبالها الكرم والتين والزيتون . ويزرع التبغ في جوانب اكامها المطلة على البحر ويكثر الفستق في عمل حلب

ويلتزم ايالة حلب محصل من الالتزامة بثلثمئة كيس (اكثر من اربعين الف جنيه) في السنة

يضاف الى ذلك البابوجية وهي نحو خمسة آلاف جنيه تقدَّم هدية الى الصدر الاعظم وحاشيته. ويبلغ ايراد الملتزم نحو ستين الف جنيه . ويُعطى الوالي ٨٣٣٠ جنيهاً في السنة لنفقات الولاية لكنهُ ينتزع اموالاً طائلة من الاكراد والتركمان وسائر السكان . ولقد جمع منهم عابدي باشا الذي كان والياً قبل عهد قولته ١٦٠ الف جنيه في سنة واحدة وضرب ضريبة على كل احد وكل صناعة . واسهب قولته في وصف الحكام والجنود في ذلك العهد وقد نعود الى ذلك في فرصة اخرى

ثم قال وحلب تجارة واسعة مع بلاد الارمن وديار بكر وبغداد وبلاد فارس والهند ودمشق ومكة ومصر واوربا ويصدر منها القطن والقستق والمنسوجات الكتانية والحريرية والنحاس والبُرص والمرعزّى والمقص ويضائع الهند كالشيلان والموصلين ويأتيها من اوربا المنسوجات القطنية والقرمز والنيل والسكر والبن الاميركي . ويقدر عدد سكانها بمئتي الف نفس . ولكني ارجح ان عدد سكانها لا يزيد على مئة الف نفس لان مساحتها ليست اكبر من مساحة برمنجهام واكثر بيوتها طبقة واحدة

وايالة طرابلس تمتد من اللاذقية الى نهر الكلب وساحلها سهل فسيح تجري فيهِ نهيرات كثيرة تزيدهُ خصباً ولكنهُ اقل زراعة من الجبال التي فوقهُ . ومن غلاتهِ الذرة والشعير والقطن . وفي جهات اللاذقية يزرع التبغ والزيتون بنوع خاص واما في جبل لبنان وكسروان فاكثر الاعتماد على التوت والكرم

والوالي طرابلس التزام البلاد كلها فهو يجبي اموالها ويدير امورها ويدفع للدولة ٣٩ الف جنيه كل سنة وعليهِ ان يقدّم لركب الحج كل سنة ما يلزم لهُ من حنطة وشعير وارز وما اشبه ويبلغ ثمن ذلك نحو ٣٩ الف جنيه اخرى . وعليهِ ان يشيع الركب بنفسهِ كل سنة ويلاقيهُ . وعندهُ نحو خمس مئة من الفرسان وبعض المشاة من المغاربة . وقد سلم بلاد كسروان للامير يوسف وضرب عليهِ ١٥٥٠ جنيهاً في السنة

ولطرابلس جنائن غضاء يزرع فيها التوت لتربية دود الحرير ويكثر فيها الرمان والبرتقال والليمون الّا انّ توتها قديم جذوعهُ مخورة وحريرهُ خشن غير جيد واذا سئل احد لماذا لا تزرعون توتاً جديداً اجابك ان من يزرع توتة يقول الباشا انهُ ذو مال فيغرمهُ واذا انكر امر بجلدهِ واذا اعترف راغ عليهِ بالضرب الى ان يعطي كل ما يملكهُ . مع انّ اهالي طرابلس اباة ضيم وقد عصوا على واليهم منذ عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة وطردوهُ من مدينتهم وظلوا ثمانية اشهر من غير والٍ فارسل اليهم الباب العالي رجلاً خبيراً بطرق الخداع

فاستمالهم بالاقسام والمواعيد ففرّق جامعتهم وقتل منهم ثمانمئة في يوم واحد ولا تزال رؤوسهم الى الآن في كهف قرب نهر قاديشا

وتجارة طرابلس بيد الفرنسويين ولهم فيها قنصل وثلاثة بيوت تجارية ويصدرون منها الحرير والاسفنج ويأتونها بالمنسوجات والقرمز والسكر والبن

وبين اللاذقية وطرابلس ترى كثيرة كجلة والمرقب وطرطوس وهناك جزيرة ارواد التي كانت مدينة عظيمة وجمهورية مستقلة مشهورة بصناعتها وتجارتها ولكنها الآن فقر بلقع

وايالة صيدا جنوبي ايالة طرابلس واقامة واليها الآن في عكاء وكانت قبل عهد ظاهر العمر تمتد من نهر الكلب الى جبل الكرمل وتشمل كل جبل الدروز ثم جاء الجزار فاضاف اليها بلاد صفد وطبرية وبعلبك وقيصرية وسكان قيصرية عرب اولاد صخر. ورأى الحصون التي اقامها ظاهر العمر في عكاء فنقل مركز الولاية اليها وصارت ايالتهُ تشمل كل البلاد من نهر الكلب الى قيصرية ومن البحر الى لبنان الشرقي وفيها سهل عكاء ومرج ابن عامر وسهل صور والحولة والبقاع وهي سهول خصيبة يجود فيها القمح والشعير والذرة والقطن والسمسم وتبلغ الغلة خمسة وعشرين ضعفاً من البذار. وفي قيصرية غابة كبيرة من شجر السنديان وينتج من صفد قطن ابيض يماثل قطن قبرص . وتبلغ الجبال المجاورة لصور مثل تبغ اللاذقية ويخرج منها نوع من كبش القرنفل يرسل كلهُ الى الاستانة ويستعمل في السراي السلطانية . وبلاد الدروز كثيرة الخمر والحرير وقد التزم الوالي البلاد كلها على مال يدفعهُ الى الدولة وهو ٧٥ كيساً (٣٩ الف جنيه) وينفق على ركب الحج منها . لكن دخلهُ كثير جداً يأخذ مكوساً على البضائع الداخلة الى البلاد اكثر من خمسين الف جنيه عدا الاموال الاميرية وجزية جبال الدروز وبلاد المتاولة وقبائل العرب . ولهُ في البلاد زراعة واسعة وهو شريك لاكثر التجار في متاجرهم . ويبلغ دخلهُ من هذه المصادر كلها نحو اربع مئة الف جنيه (عشرة ملايين فرنك) لكنهُ لا يتمتع بما يبقى لهُ من ذلك لان الدولة تصادرهُ من وقت الى آخر وتبتز منهُ الاموال التي جمعها

هذا بعض ما ذكرهُ فولنه عن احوال سورية المعاشية لما جاءها منذ نحو قرن وربع قرن اي حينما كانت في حضيض ذلها . ولقد جار عليها الدهر ولكنهُ عجز عن محو آثار عظمتها ومصادر ثروتها وهي الآن لا ينقصها الاَّ العدل والامن وان يجد ابناؤها على رفع شأنها فيجدوا من خيراتها الطبيعيَّة وموقعها الجغرافي ما يرقى بها وبهم الى فوق ما كانت عليهِ في عهد الفينيقيين واليونان والرومان

شمس العدالة في تركيا

من خطبة للدكتور هوورد بلس رئيس البعثة الكلية السورية الانجيلية الفاها في الجمعية الجغرافية الوطنية باميركا في ١٨ دسمبر سنة ١٩٠٨ وقد ترجمت الى العربية لنظم سليم افندي خوري من مستخدمي مالية السودان

يعلم من اسعده الحظ منكم بزيارة الاستانة ان اليوم المطير فيها يكون قاتماً اسود الاديم واذا طالت اقامته فيها علم ايضاً ان يوم النحو يكون مبهجاً رائق الجلد كذلك كان يوم امس فانهُ كان يوماً في الدهر معدوداً ببهجته وحسن روائه وسيبقى معدوداً في تاريخ السلطنة العثمانية . فارفع بالنيابة عنكم وعن سائر مواطنيَّ في انحاء البلاد خالص المنة والشكر لنوابنا في المجلس العام (الكنغرس) لانهم بشروا بالتوافق القلبية من وراء البحار الى العثمانيين يتفنون لهم خيراً بما نالوهُ يوم امس

إخال ان الخيال صوَّر لكم وانتم تقرأون صحف امس وصحف هذا الصباح انكم تتفنون ذلك الجم الغفير الذي اغتمر من غطاه كالبحر الزاخر الى الجسر وتوجه صُعُدًا الى جامع ايا صوفيا ورأيتم جلالة السلطان مغادراً بلدز يسير في طريق لم يسلكها من قبلُ ورشهدتم الشوارع في كل جهة ومكان تدل على ان ذلك اليوم يوم عيد وابتهاج . فهنا جنود تركية انيقة المنظر ليس لهم في العالم مثيل وهناك اعلام عثمانية خافقة وجماهير قد شق هتافها السمان وهنالك جماعات من النساء — وهنَّ الآن عضو جديد في المجتمعات التركية — ولم يقتصر احتشاد المتفرجين من الناس على الإشراف من النوافذ والشرفات بل قصدوا المساجد واطلوا منها على تلك المناظر الجديدة الغريبة

طالعت اليوم مادوَّنهُ التاريخ في صفحاتهِ عن اجتماع مجلس المبعوثان لاول مرة سنة ١٨٧٧ فقرأت مقالة طويلة لكاتب انيق من الاستانة يصف فيها افتتاح ذلك المجلس فرأيتهُ قد استوفى الكلام عليهِ ولكن يظهر من مقالتهِ ان افتتاح ذلك المجلس كان خالياً من مزايا الحماسة والحمية العامة التي ظهرت اخبارها في صحف اليوم وهذه الحماسة والحمية مفعمة باليقين والتفاؤل السعيد بالمستقبل

فمنظر ذلك المجلس حيث تليت خطبة السلطان في حضرتهِ وحيث اشترك جلالتهُ في الدعاء الذي فاه بهِ قاضي الاسلام ضارعاً الى الله ان يبارك المجلس كان منظراً مهيباً محفوفاً

بالجلال والوقار. ثم قام الوف ومئات الالوف من الرجال والنساء والاولاد بحفلات حماسية لم يسبق لها مثيل

يذكرنا ذلك باحتفالات مرّت بنا منذ خمسة اشهر واغني بها احتفالات شهر يوليو. لم يخطر في بال واحد منا ان تلك الثورة كانت على الابواب . واني وان كنت غائباً عن بيروت حينئذٍ فانا اعرف شيئاً مما جرى فيها لما اعلن الدستور — تلك المدينة التي هي اكبر ميناء في سورية والتي تضم مئة وعشرين الف نفس او مئة وثلاثين الفاً

اطلاق اللسان بعد حبسه ثلاثين عاماً في سجن الموانية

لما ذاعت هذه البشرى لم يستطع الناس تصديقها بل زعموا انها خطأة ورد في التلغراف فلم يتجرأوا على اظهار شيء من الحماسة والاستحسان ولا غرو فقد تعودوا الصمت منذ اعوام وهم يكتمون آمالهم الخفية في صدورهم . وبقي السكون مخيماً فوق المدينة يوماً ويومين وثلاثة ايام واهلها بين اليأس والرجاء فيأسهم كان ناشئاً عن تخوفهم من ان يكون الخبر غير صحيح ورجاؤهم كان يضرم في صدورهم نيران المسرة والابتهاج كلما أملوا صحة الخبر. ويتمام كذلك اذ تحققوا صحتهُ فزال اليأس وصح الرجاء وانهمكت المدينة ثلاثة ايام تقيم الافراح والاحتفالات وجعل الناس يهنئون بعضهم بعضاً فكانت اياماً مشهودة لم يسبق لها مثيل في سورية . طير البرق اليهم ان جمعية تركيا الفتاة انتهزت فرصة سانحة فقالت لجلالة السلطان لقد حان الاوان الآن لاعطاء الدستور. ولا أرى ثم حاجة الى شرح الاحوال التي دفعت تلك الجمعية الى هذا الطلب ولكنكم تعلمون ان السلطان سلَّم بقول حزب تركيا الفتاة ان الوقت قد حان لمنح الدستور . واعلن على رؤوس الاشهاد في مجتمع ضم مئة الف نفس انهُ يحتفظ بالدستور ويخلص لهُ. وليس ذلك فقط بل الاهم منهُ ان شيخ الاسلام صرَّح على مسمع من ذلك الجمع ان جلالة السلطان اقسم يمين الاخلاص للدستور امامهُ فاظهر سماحتهُ بذلك للملإ ان منح الدستور مطابق لنص القرآن . وليس ذلك فقط بل استدعى السلطان اليهِ السفراء والقناصل ونواب كل الدول الاجنبية وصرح امامهم بمصادقتهِ على منح الدستور . واجتمعت الجنود واقسمت يمين الاخلاص للدستور على مسمع من الناس

فكانت جميع الوسائل التي اتخذت والحالة هذه ضماناً قوياً باتاً على ان الحكومة ستحافظ حتماً على هذه السياسة الجديدة

كل هذه الاخبار وردت على بيروت في اثناء يومين او ثلاثة ايام وانبثت المدينة ايضاً ان الواجب عليها ان تستعد لانتخاب اناس من اهلها نواباً لمجلس المبعوثان الذي عقد امس .

فاطلقت حينئذٍ الحريّة في المدينة ولم يعد الناس يتمالكون ضبط نفوسهم عن اظهار بهجتهم ومع هذا كلهِ فان بعضهم كان لا يزال غير مصدق هذه الاخبار

ان لي صديقاً سورياً ذكي الفؤاد شديد الحذر قابل اخي على قارعة الطريق ذات يوم في شهر اغسطس وقال لهُ لو اخبرني اصدق اصدقائي الذين اثق بهم عما يجري الآن في بيروت لما صدقتهُ . فقد كنت اليوم حاضراً الاحتفال الكبير الذي اقيم امام سراي حكومتها وذهبت الى البرج فرأيت ان هذه الامور العجيبة جارية فعلاً ومع ذلك فانا لا ازال مرتاباً من صحتها . ولقد جاهر الناس باشياء لم يجهروا بها طول ايام حياتهم فكانوا يقولون "اخاء" "مساواة" "حرية" ولو تلفظوا بهذه الكلمات قبل ذلك باسبوع لوقعوا في خطر مبين وصار الغلمان يجوبون المدينة وفي ايديهم الصحف والتلغرافات التي تحوي تلك الاخبار المدهشة بلا مراقب ولا رادع

اتفق ان صحافياً من اصدقائي في بيروت نشر اعلاناً في جريدتهِ منذ بضعة اشهر جاء فيهِ كلمة عربيّة سهواً كان مراقب المطبوعات قد حرم نشرها فلم يشعر الاَّ وقد طُلب وجوزي بايقاف الجريدة ثلاثة اشهر وكان السبب تلك الكلمة

اما الآن في كل جهة ومكان تسمع الرجال والنساء والاولاد يجهرون بتلك الكلمات التي كانت محرَّمة . فما كان ممنوعاً في خلال ثلاثين عاماً صار الآن مباحاً في كل انحاء المدينة . صار الرجال يتألبون جماهير والجمعيات تعقد هنا وهناك والخطباء يندفعون فيخطبون في الناس خطباً تتدفق الفصاحة منها تدفق السيل فيدوي سماعها في الآذان دوياً يزري بشلالات نياغرا

المسيحيون والمسلمون يعانقون امام الناس

هناك كان خليط من الناس . الناس الذين قضوا السنين الغابرة والعداوة بينهم مستحكمة صاروا الآن اصدقاء اعزاء في الحفلات والمجتمعات وصار رؤساء الدين من المسيحيين والمسلمين يتضامون ويتعانقون . قطعت الاغصان من الاشجار وأتي بالبسط من المنازل واكتظت الشوارع بالناس فكانوا يضيفون اخوانهم الذين اضاعوا صداقتهم زماناً طويلاً . وكانت امارات المودة والالفة ظاهرة في كل مكان حتى بين الرعاع وذوي الجرائم

بليت بيروت في السنين الاخيرة بزمرة من المثيرين المسلمين وزمرة من المثيرين المسيحيين اقلقوا راحتها والقوا الرعب في المدينة . اما الآن فهؤلاء بخير الحرية وهؤلاء بخير الاخاء فقد قصدت عصابة من المثيرين المسلمين بامرة زعمائهم احياء زمرة المثيرين المسيحيين ودعوهم

الى مأدبة فاخرة صنعوها لهم في ساحة البرج وصاروا هم يخدمونهم . وبعد ايام قليلة قابل معشر المسيحيين — الذين اقلعوا عن الشر وصاروا اخواناً — الدعوة بمثلها فدعوا اصدقاءهم معشري المسلمين الى ساحة البرج فاكلوا وشربوا

ففي كل اليوم المذكورة كان الناس يجتمعون جماهير مختلفة فيخطب فيهم المسيحي فالمسلم فالاسرائيلي . وخطب ايضاً بعض اساتذة الكلية وجميعهم لو كان احد منهم من الذين قضوا من اربعة اعوام الى عشرة في كليتنا حاضراً هنا هذه الليلة لكان يخطب فيكم ليشير حميتكم وليس ذلك فقط بل انهُ يخطب بلغة انكليزية لاغبار عليها ويالهُ من تأثير في نفوسكم عندما يخطب فيكم مندفعاً بقوة تلك الحرية الجديدة وحميتها فانهُ كان يوقظنا وينبهنا . انني اشعر احياناً باننا سائرون الى شيء من الفتور وعدم المبالاة في هذه البلاد . واشعر احياناً ايضاً ان وطنيتنا في حاجة لان تذكى بنار حمية جديدة لتوقد وتحمس بتضحية جديدة . وانا متأكد انهُ اذا كان واحد من اولئك الخطباء السوريين هنا وخطب فيكم باللغة الانكليزية استطاع ان يؤثر فينا تأثيراً يجعلنا ننظر الى معنى حريتنا نظراً جديداً !

فالعلم التركي صار لهم علماً جديداً وهل خطر على بالكم ان العلم التركي علم جميل . حينما نظرتم اليهِ ورأيتم الهلال والنجم على بساط احمر اعتقدتم ان تذكروا انهُ نجم آفل . على اني مؤكد ايها الاصدقاء ان النجم الذي في ذلك العلم ليس نجماً آفلاً في عرف السوريين والاتراك وسائر العناصر المختلفة في المملكة العثمانية بل هو نجم الصباح وليس ذلك الهلال قمراً سائراً الى المحاق بل هلال في اول نموه

فؤاد باشا

وحدث في بيروت امور اخرى فقد صدر مع اعلان الدستور امر بالعفو عن المسجونين السياسيين وقيل ان ذلك العفو شمل ٤٢ الفاً والبعض يبالغون في هذا العدد فيجعلونهُ ٦٠ الفاً . وهم الذين طردتهم الحكومة من الاستانة في اثناء الثلاثين سنة الغابرة فنشتتوا في البلدان الاوربية . فالرجال الذين كانت الحكومة الغابرة تعد تأثيرهم مضراً ناقماً برهنوا على انهم كانوا اليد البيضاء في اعلان الدستور

لا ريب ان بعضكم رأى دمشق فاذا كنتم قد زرتموها في السنوات الست الماضية وسرتم في الطريق المار فيها الى الفندق رأيتم على يساركم بناء كبيراً واماهُ حراس فعراكم الريب فيهِ ليس لان عليهِ حراساً فقط بل لان كل نوافذهِ مسدودة بدرف حشية كبيرة وان كنتم قد سألتم من يسكن هناك ولماذا خفر ذلك البناء بالحراس فقد أجبتم لانهُ مسكن فؤاد باشا .

ومن هو فؤاد باشا ؟ كان من الرجال النافذي الكلمة في الاستانة ومن الذين اشتهروا في المناصب العسكرية ولكن منذ ستة اعوام صار من المغضوب عليهم ونفي الى دمشق الاَّ ان فؤاد باشا وهو في ذلك السجن الضيق كان لهُ تأثير اعظم منهُ لو بقي في الاستانة

فلما صدر العفو أُبلغ انهُ صار حرًّا يستطيع الرجوع الى الاستانة اذا شاء ولكن هذا الجندي الباسل قال انهُ لا يبرح مكانهُ حتى يعاد اليهِ ذلك الحسام الذي أُخذ منهُ في الاستانة وتوضع على صدرهِ تلك النياشين والاوسمة التي نزعت منهُ

فانتظر ريثما جيء اليهِ بالسيف والاوسمة وعاد الى الاستانة فرحًا مسرورًا . وركب القطار الى بيروت حيث استقبلهُ اهلها على المحطة ودفعتهم الحمية ان فكوا الخيل من العربة ليجرها الى الفندق والحق يقال انهم من شدة حماستهم الشرقية كانوا يودون حملها على اكتافهم . على ان فؤاد باشا خاف على حياتهِ وطلب منهم ان يرجعوا عن عزمهم ويدعوا عربتهُ تسير كالمعتاد الى الفندق . وتلا هذه الحادثة اقامة عدة حفلات ومظاهرات اكراماً لهُ والقيت خطب عديدة . ثم سافر هذا البطل الى الاستانة ويقال انهُ لما وصلت الباخرة بهِ الى مرفاها كان هنالك جمع غفير من اهلها في انتظارهِ وكان منظر استقبالهم لهُ مؤثرًا جدًّا فان ذلك الشيخ وقف على ظهر الباخرة ورأسهُ مشتعل شيباً والدموع تنهمر على خديهِ بلا خجل ولا استحياء فكانت دليلاً على تعلقهِ الشديد بابناء وطنهِ

الترك يكرمون شهداء المذابح الارمنية

كانت الاحتفالات والمظاهرات تتوالى على هذا المنوال ليس في بيروت والاستانة فقط بل في سائر المدائن والقرى الصغيرة حتى باتت المملكة كلها مشتركة في السرور قلباً وقالباً وقد احتفل بذلك ايضاً في المدينة المنورة على خط سكة حديد الحجاز التي شرع جلالة السلطان في مدها الى مكة المكرمة واتفق ان افتتاح هذه السكة واعلان الدستور جاءا في آن واحد. على ان اعظم ما شوهد من الشعور بالاخاء كان في الاستانة اذ قصد الارمن ومعهم كثيرون من الاتراك البور الذين ذهبوا ضحايا المذابح الارمنية . هنالك اقاموا الصلاة وشكروا الله على حلول هذا اليوم واظهر الاتراك حزنهم واسفهم من تلك الحال التي اهرقت فيها دماء الكثيرين من رجال الارمن ودخل الارمن والمسلمون معًا الكنائس في اليوم التالي وانبرى الخطباء من الفريقين يخطبون ويشكرون الله على مجيء ذلك اليوم المبارك . ولما كان العمل الذي قامت بهِ لجنة الاتحاد والترقي نشأ عنهُ منح الدستور قد انبعث من سالونيك استازت تلك الولاية على سواها بالحماسة والابتهاج بهذا الفوز العظيم

ومما قيل لنا ايضاً انهُ لما اطلق سراح السجناء طبقاً للعفو الاخير لم يحدث اقل مكدر مما يطرأ عادة في مثل هذه الاحوال . والفضل في ذلك راجع الى المنهاج الذي انتهجوهُ فقد كانوا يأتون بكل سجين الى رئيس ديانتهِ فيلجئونهُ الى وضع يدهِ على التوراة او القرآن ويلقون عليهِ الاسئلة الآتية : —

التعهد انك تجتنب كل الجنايات والجرائم اذا اطلق سراحك ؟ التعهد انك لا ترتكب عملاً مضرًّا بالامة والحكومة . ثم تؤخذ عليهِ المواثيق فيقسم بالله العظيم انهُ يعرِّ بيمينهِ فيخلى سبيلهُ . وكان يقال لهم ايضاً ان اخوانكم بني الانسان قد اقلوا سبيلكم لمحافظوا على حرية الناس واحترموها والاَّ صدر الامر في الحال باعدامكم شنقاً فكان السجناء يجيبون عن ذلك — اننا لا نشنق لانا عازمون عزماً اكيداً على ان نراعي مصالح الاخرين . وقد تنسبون ذلك الى تحمس وقتي كعادة الشرقيين ولكن الامر العجيب هو ان الجنايات تناقصت وقلما سمع ان دم احد اهرق في اثناء هذه الاسابيع او في اثناء الخمسة الاشهر الماضية ولقد ملئت العواطف خشوعاً وشعوراً بالدين وهما خلتان خليقتان بان تعطش ساعات وايامًا وسنين للحرية فاخذ اخيرًا يبتهل الى الله ويحمدهُ على هذه النعمة الطاهرة ويستزيد من الحمد لانهُ نالها بلا انتظار

فتح ابواب جامع عمر للمسيحيين

احتشد خلق كثير من اليهود والمسيحيين والمسلمين في داخل ذلك السور العجيب سور الحرم المقدس في مدينة القدس في اثناء ثلاثة ايام . وانتم تعلمون الصعوبة التي تحول دون دخول ذلك المكان عادة فان الزائر يضطر ان يستأذن من قنصل دولتهِ ومن الحكومة للحلبة ليتسنى لهُ الدخول اليهِ ولكن هذه الصعوبة زالت واذن للجميع في دخول الجامع ثلاثة ايام متوالية فكان ذلك برهاناً لامعاً على انتفاء التعصب الديني واحلال الاخاء محلهُ وكان الواحد منهم يقول

" اني عندما ارى رجلاً داخلاً الى الكنيسة اعلم انهُ مسيحي وعندما ارى آخر داخلاً الى الكنيس اعلم انهُ يهودي وعندما ارى ثالثاً داخلاً الى الجامع اعلم انهُ مسلم ولكن في غير تلك الاماكن وفي كل آن وزمان نعد بعضنا بعضاً عثمانيين وكنا اخوان تجمعنا راية واحدة "

يبلغ عدد العثمانيين الاتراك خمسة ملايين فقط اما عدد العثمانيين كافة فيبلغ خمسة وعشرين مليوناً واذا عددنا البلدان التابعة للدولة العلية او التي كانت تحت سيادتها بلغ عدد

العثمانيين واحدٌ واربعين مليوناً او اثنين واربعين ولكن كلهم عثماني قد اطلقت الآن على جميع ابناء المملكة وذلك طبقاً لنص القانون القاضي بان جميع اتباع الحكومة العثمانية يلقبون بالعثمانيين فلم يبقَ بينهم الآن من يقول انا سوري او ارمني او مكدوني بل صار الجميع عثمانيين

هبت الثورة وانقضت ولم يحدث الاَّ القليل من التعدي

كل هذه الامور جرت باعتدال عجيب فالعداوات والحزازات التي كانت مستحكمة من الصدور في السنين الغابرة اندثرت فجأة على ما يظهر وقام محلها الحلم والاعتدال ليس باخفاء الحقد ودفن العداء فقط بل بنجب كل تعدٍ وشحناء . ولقد كان لهذا الحكم شواذ ولكن اذا تدبرنا الامر نجب من قلة تلك الشواذ . فمنها قتل نهيم باشا الذي كان السبب في نفي فؤاد باشا ومئات غيره وهو الذي نفى اخيراً الى بروسه بسعي سفيري انكلترا والمانيا . فلما بلغهُ وهو في منفاهُ ان الدستور قد منح استولى الرعب عليهِ ولاذ بالفرار ولكن الناس عثروا به فلم يستطيعوا ردع نفوسهم عن الانتقام من رجل كان علة لقتل الكثيرين من اخوانهم او لنفيهم فهجموا عليهِ ومزقوهُ اربًا اربًا . على ان هذا الفعل لم يكن بارادة جمعية تركيا الفتاة التي بعثت من سالونيك فوقفت تيار تلك الحركة باسرع ما يمكن وهذه حادثة من ست حوادث فقط ومن المحتمل ان يكون قد حدث غيرها مما لم يتصل بنا خبرهُ

الى متى تستمر هذه الحال

اني لاعترف ان كل ما جرى عجيب لدائر ولو استمرَّ يوماً واحداً فقط . فهو عجيب جداً لانهُ استمر اسبوعاً بل شهراً بل خمسة اشهر . ولو أوقفت الثورة غداً وجرت مذبحة دموية لبقي ما جرى قبلها عجيباً لانهُ حدث في بلاد اشتدت فيها العداوات ويسهل فيها اعطاء النفس هواها

ارسل عثماني كتاباً الى اميركي على اثر اعطاء الدستور قال فيهِ " نحن نعلم اننا سنفشل في امور كثيرة ونعلم ان عقبات ستعترضنا وربما آلت بنا الى اليأس والقنوط ولكن لا شيء يستطيع ان يسلبنا سرورنا وابتهاجنا في هذه الايام الاولى "

اراكم تتساءلون الآن أتدوم هذه الحال وهل تستمر والى متى تستمر ؟ والبعض منكم يراجعون تاريخ اجتماع مجلس المبعوثان الاول منذ اثنتين وثلاثين سنة . وتعلمون ان هناك فرقاً بين الحالة الماضية والحالة الحاضرة ولكن ربما قلتم ان مراسلي الجرائد لم يكونوا يبالغون في الوصف حينئذٍ كما يبالغون الآن والتسهيلات التلغرافية لم تكن متوفرة حينئذٍ لارسال الوصف المسهب ولذلك اهملت تفاصيل كثيرة فمن المحتمل ان مثل هذا الابتهاج وتلك

الخاصة كانوا حينئذٍ ومع ذلك فكم بقيت تلك الحال كذلك . على اني اعتقد انكم تلاحظون ان الاحوال التي مني فيها الدستور الآن تختلف كثيرًا عن الاحوال التي مني فيها سنة ١٨٧٦ وكان بقاؤهُ قصيرًا جدًّا فالتفاصيل التي ذكرتها الآن وانا استطيع ان اسرد عليكم كثيرًا مثلها مما يدل على الابتهاج العام في اصدق دليل على ان القائمين به سواء كانوا عارفين كثيرًا او غير عارفين وسواء كانوا مدركين تمامًا كل مقدار الصعوبات التي تعترضهم او غير مدركين فضائلهم المنشودة من وراء هذه الحركة هي الحريَّة فقد سئموا عيشة القرون الوسطى واشرأبوا باعناقهم الى عيشة القرن العشرين وسواء نجح مشروعهم او لم ينجح فلا بد ان يتلوهُ آخر يستطيع به هؤلاء الرجال والنساء والاولاد ان يعيشوا كما يعيش معاصروهم في القرن العشرين

ان اسم جمعية تركيا الفتاة لا يقصد به ان اعضاء هذه الجمعية فتيان . لا . فان كثيرين منهم رجال اشتعلت رؤوسهم شيبًا ولكنهم رجال شديدو العزيمة لهم فتيان في آمالهم وطموح نفوسهم فتيان في عزيمتهم وتصوراتهم . وقوة هذه التصورات هي أسُّ هذه النهضة

والاخطار لا تعد ولا تحصى وكلٌّ يستطيع ان يشير اليها والاعداء كثيرون . اختلافات جنسية واختلافات دينيَّة وهذه يسهل ان ينتج عنها عدوان وشحناء وكذلك ساعي الدول الاوروبية — كل هذه اخطار تتهدَّد العثمانيين وأي شيء يستظهر على هذه الاخطار

ليس في استطاعتي الخوض في السياسة الاوربية ولكنني اقول عن اوربا وعن الاخطار التي تتهدد هذه النهضة الجديدة بساعي الدول انهُ ليس ثمَّ لا رجاء واحد وهو ان تتوخى الدول المسيحية في اوربا العدل وكرم الاخلاق في معاملتها المسلمين وتأخذها هزة الشهامة فتحرم فتستظهر في حرب صليبية جديدة ولكن ليس في ميدان القتال بل في ميدان السياسة السلمية . على ان بريطانيا العظمى التي لم تمت فيها الشهامة والمروءة سيكون لها والحمد لله صوت عظيم في ذلك . ثم ان الولايات المتحدة ايضًا لم تمت فيها المروءة والحمد لله فسيكون لها صوت مسموع في هذا الصدد

ولكن ما القول بالاخطار الاخرى التي تتهدَّد العثمانيين — العداء الذي كان ينمو ويزيد كل هذه السنين حيث الناس المختلفون مللاً ونحلاً كانوا دائمًا متحفزين لمناوأة بعضهم بعضًا ومناصبتهم العداء حتى لم يعودوا يهتمون الاَّ بعداواتهم وضغائنهم فماذا يقال عن هذه الاخطار وكيف يكون الفوز عليها

ستأتي البقية

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

ذوات الظلف والحافر والخف UNGULATA

﴿ اليحمُور . اليأمُور (يحمور بالعبرانية والسريانية) ﴾ Cervus capreolus. E. Roe deer. F. Chevreuil.

نوعٌ من الايائل لكلٍّ من قرنيهِ ثلاث شعب وهو قصير الذنب احمر اللون ابيض الاليتين اغبر البطن مصفرّهُ ويتصل قرنهُ كالايّل . وقد ورد ذكر اليحمور في التوراة بين الحيوانات المجترّة المشقوقة الظلف (تث ١٤ : ٥) التي يحلُّ اكلها لبني اسرائيل فلا يمكن ان يكون الحمار الوحشي كما جاء في بعض كتب اللغة . واللفظة مشتقة على الغالب من الاحمرار[1] ولا علاقة بينها وبين الحمار سوى المشابهة في اللفظ . واليحمور يعرف بهذا الاسم الى يومنا ويوجد في العراق والشام . وقد جاء في بعض المؤلفات العربية ما يثبت انهُ من الايائل فهو في المخصص " نوع من الايّل " وفي حياة الحيوان الكبرى " اليحمور دابة وحشية نادرة لها قرنان طويلان كانهما مشاران ينشر بهما الشجر فاذا عطش ووردَ الفرات يجد الشجر ملتفة فينشرها بهما وقيل انهُ اليأمور نفسهُ وقرونهُ كقرون الايل يلقيها في كل سنة وهي مسننة لا تجويف فيها وانهُ الى الحمرة وهو اسرع من الايل وقال الجوهري اليحمور حمار الوحش " انتهى كلام الدميري

اما اليأمور فهو ذكر الايل في كتب اللغة ووصفهُ في القزويني والدميري يشبه وصف اليحمور ولعلَّ اللفظة محرّفة عن اليحمور في الاصل . وفي معجم دوزي اليأمور هو اليحمور

﴿ الرنّة (معرّبة) ﴾ Rangifer tarandus. E. Reindeer F. Renne واظنها تعريب الدكتور كرنيليوس فان ديك لانها وردت كذلك في جغرافيتهِ

﴿ الألك (معرّبة) ﴾ Alces. F. Elk F. Elan

﴿ غزال المسك . دابة المسك ﴾ Moschus moschiferus. E. Musk-deer. F. Porte-musk

وحقهُ ان يسمى ايّل المسك لانهُ من الايائل وليس من الظباء

(١) Encyclopedia Biblica

﴿ الزَّرافة (مصرية الاصل) ﴾ Giraffa camelopardalis E. & F. Giraffe

حيوانٌ من ذوات الظلف وهي في حجم البعير قصيرة الرجلين طويلة اليدين والعنق . جلدها مبقّع ببقع حمر ولها قرنان صغيران . وتوجد الزرافة في افريقية فقط

وقد جاء في الاساطير الهندية ذكر حيوان يسمى سرابه بالسنسكريتية ونقل العرب هذه اللفظة وعرّبوها بالزرافة في بعض مؤلفاتهم وورد ذكرها في كتاب عجائب الهند لبزرك ابن شهريار وكتاب وصف الهند لابي الريحان البيروني . والزرافة حسب وصفها في هذين الكتابين حيوانٌ هائل عجيب الشكل وهو بلا ريب خلاف الزرافة المعروفة (انظر كتاب عجائب الهند صفحة ١٩٧ وتعليقات المترجم في الملحق . كذلك وصف الهند لابي الريحان البيروني الترجمة الانكليزية المجلد الاول صفحة ٢٠٣ ولم اقدر ان اقف على نسخة عربية من هذا الكتاب)

اما الزرافة المعروفة فمختلف في اصل تسميتها فهي في كثير من اللغات الافرنجية عربيةُ الاصل وفي غيرها هندية او فارسية وفي لاروس من مراقٍ بالمصرية القديمة ومعناها الطويلة العنق وفي الالفاظ الفارسية المعربة من زرنايه بالفارسية وفي بغية الطالبين تسمى الزرافة سر بالمصرية القديمة ويرجح المؤلف ان اللفظة مصرية الاصل وهو الاقرب الى الصواب ولا بد ان العرب سمعوا بالزرافة قبل المنود والفرس ولا يعقل انهم اخذوا هذه اللفظة عنهم اذ لا وجود للزرافة في اسيا ولا دليل على سابق وجودها فيها في عهد التاريخ وفضلاً عن ذلك يظهر ان اللفظة الفارسية تختلف في كتابتها فهي سرنايا وزرنايا وزرنايه وزرّاف وزرّافة كما جاء في معجم ثوماس ومعجم الالفاظ الفرنسويّة المشتقة من اللغات الشرقية لمارسل دفيك ولعل الزرافة الهنديّة التي ذكرت آنفاً سبب هذا الارتباك

﴿ الجَمَل (متشابهة في اللغات السامية) ﴾ Camelus dromedarius.

E. Dromedary or Arabian camel. F. Chameau d'Arabie.

﴿ الدُّهْنَاج . الدُّهْنَج . الفالج . الفَلُج . القِرْمِل ﴾ Camelus bactrianus.

E. Bactrian camel. F. Chameau de Bactriane

الجمل ذو السنامين وهو اقصر من الجمل العربي واضخم ووبرهُ اطول ويوجد في اواسط اسيا. اما البُخْتي فهو الجمل المتولد بين الفالج والجمل العربي ووصفهُ في كتب اللغة مضطرب لا يفهم منهُ هل هو الفالج بعينهِ ام المتولد بينهُ وبين العربي الّا ان القزويني خصّهُ بالهجن كما جاء في آثار البلاد عند ذكره النخلة في الهند قال " وبها الجمل الفالج ذو السنامين وهذا الصنف

من الابل لا يوجد الاَّ هناك يجلب منها الى خراسان وفارس ويجعل خلاً للسوق العربية تتولد منها البختي " . وفي عجائب المخلوقات لهُ ايضاً ما نصهُ " ومنها المتولد من الابل الفالج والعراب ويسمى البختي " . وفي المؤلفات الافرنجية الحديثة مثل ذلك ايضاً وجاء فيها ان اللفظة مستعملة في خراسان لهذا النتاج المركب[1] . وجاء في بعض كتب اللغة ان اهل مصر يطلقون هذه اللفظة على الابل مطلقاً ولا اعلم هل يفعلون ذلك الآن وانما هذه اللفظة لا علاقة بينها وبين الابل البختية الخراسانية بل هي نسبة الى بختة في بلاد البجة اي شرق السودان كما ذكر الادريسي في نزهة المشتاق (صفحة ٢٧) قال " ومن بلاد البجة بلد بختة وهي ايضاً تربة مسكونة وبها سوق لا يعوَّل عليها وحولها قومٌ ينتجون الجمال ومنها معايشهم وهي اكثر مكاسبهم والى هذه القرية تنسب الجمال البختية وليس يوجد على وجه الارض جمال احسن منها ولا اصبر على السير ولا اسرع خطىً وهي بديار مصر معروفة بذلك " وقول الادريسي هذا لا مبالغة فيهِ فقد رأيت هذه الابل البجاوية وهي احسن ابل في الدنيا ومشهورة عند العرب من قديم الزمان

﴿ اللاَّمة [3] (معرَّبة) الجمل الاميركي[2] ﴾ L. & F. Lama

﴿ الالبكا [4] (معرَّبة) ﴾ E. & F. Alpaca

﴿ الخنزير ﴾ Sus scrofa. E. Pig. F. Cochon

وهو حزير بالعبرانية واللفظة مشتقة من الحزَر اي صغر العين وليس من الخزرة اي غلظ العنق فتكون النون زائدة

﴿ الرتّ : ررت بالمصرية القديمة[5] . البفر (من اصل سنسكريتي) الملوف[6] ﴾ E. Wild boar. F. Sanglier.

الخنزير البرّي ويوجد في اسيا واوربا وافريقيا واوشك ان ينقرض من القطر المصري ولا يوجد منهُ الاَّ عدد قليل في وادي النطرون تحميهِ الحكومة ويقال انهُ يوجد على مقربة من دمياط ايضاً

والرتّ في اساس البلاغة " الجرىء من ذكور الخنازير " . وفي لسان العرب " الرتّ شيء يشبه الخنزير البرّي وقيل هي الخنازير الذكور (ورَرَ بالمصرية القديمة والتاء للتذكير)

---

(١) The Royal Natural History.

(٢ و ٣ و ٤) تعريب المرحوم احمد فارس

(٥) بنية الطالبين لاحمد بك كمال (٦) المعجم للاب لويس المعلوف

فرس النهر

الزنز

والرت الخنزير الجلّيح". اما الملّوف فلم اجدها بهذا المعنى سوى في المجد للاب لويس المعلوف وقد سألت حضرتهُ عنها فاجابني انهُ متأكد من صحتها . وفي غير المجد من كتب اللغة الملّوف الثقيل الجافي والكثير الشعر والجمل الضخم ولا يبعد انها اطلقت على الخنزير وعرّفها العامة وقالوا حلّوف كما هو شائع في مصر والسودان . وزعم امرنبرغ ان لفظة حلوف من اروبا او هرويا بالحبشية وهو بعيد . وذكر دوزي ان لفظة هلوف في معجم غوليوس وفريتاغ خطأ وان صحتها حلوف وقال انها ايلف بلغة البربر . لكني ارجح صحة تسمية الخنزير البرّي بالملّوف كما جاء في المجد فتكون اللفظة العامية محرّفة عنها

﴿ فَرَس النهر . فرس النهر (وهو كذلك باليونانية واللغات الاوربية) . جاموس البحر . البرّنيق ﴾

Hippopotamus amphibius. E. Hippopotamus. F. Hippopotame

حيوان من ذوات الحافر عظيم الجثة كبير الرأس قصير القوائم والعنق والذنب . لهُ اربعة حوافر في كلٍّ من قوائمهِ وجلدهُ غليظ جدًّا يعمل منهُ السياط المشهورة ويوجد في النيل وغيره من انهار افريقية وكان كثير الوجود في مصر سابقًا وآخر من ذكر وجودهُ فيها من مؤلفي العرب عبد اللطيف البغدادي في اواخر القرن السادس للهجرة وذكر المقريزي وجودهُ في النوبة ولم يذكر وجودهُ في مصر مع انهُ بقي في فرع دمياط الى سنة ١٦٠٠ مسيحية وهو الآن نادرٌ جدًّا شمالي الخرطوم ورأيت واحدًا منهُ في ولد حامد سنة ١٨٩٨ وذلك على مسافة ٦٠ ميلاً شمالي الخرطوم . ويسمى فرس النهر في السودان بالقرنتي [1] والعيشت

(١) عرب السودان يلفظون القاف كما يلفظها اهل الصعيد وعرب اتباعه هذا النهد اني كما تلفظ الجيم في مصر القاهرة فتكون هذه اللفظة المجرتي حسب نطق سكان القاهرة ورأيت ان انبه الى هذا الامر ولو خرجت عن موضوعي وذلك لكثرة الخطاء في كتابة الاعلام السودانية في بعض الجرائد المحلية وكتب الجغرافية التي تدرّس في مصر فيكتبون الاسماء الآتية جوز رجب وجوز ابي جمعه وجبل جدير والعلايقه وهنا ان تكتب قوز رجب وقوز ابي جمعه وجبل قدير والعلاقه اي كما يكتبها اهل السودان . وبعض هذه الالفاظ عربي فصيح ولا يجوز التصرّف في كتابتهِ مثل قدير وقوز فالقوز في اللغة الكثيب المرتفع من الرمل وكل الاماكن التي يطلق عليها اسم القوز في السودان مبنية على الكثبان المرتفعة . واغرب من هذا كلهِ كتابة دنقله دنجله . اما ولد حامد وولد مدني فلا بأس بكتابتها ود حامد وود مدني وانا لا نسوّغ مطلقًا كتابتها واد حامد وواد مدني لهذه اللفظة لا علاقة بينها وبين ابوادي كما يتوهم البعض بل هي ولد ويطلقها اهل السودان ود وليس واد وهذه الاماكن منسوبة الى اشخاص معلومين كانوا شيوخًا عليها او كانت ملكًا لهم فولد مدني اصلها حلة ولد مدني وهذه الاسماء مذكورة على صحتها في تاريخ السودان لمن يريد شيء فليراجع هناك

والعَنْزِيت وهو البيهموت المذكور في سفر ايوب ويظن انهُ كان موجودًا في نهر الاردن في عهد التاريخ ولفظة البيهموت عبرانية

اما لفظة البرنيق فقد وردت في رحلة بركهارت في النوبة وفي معجم ريشاردسون وهو مطبوع قبل رحلة بركهارت ولا اعلم اصلها وربما كانت مستعملة في مصر قبل اقتراض هذا الحيوان

﴿ الوَبْر ﴾ Procavia E. Hyrax F. Daman حيوانٌ من ذوات الحافر وهو في حجم الارنب الخل اللون اي بين الغبرة والسواد قصير الذنب والاذنين يجترّ فكهُ السفلي كأنهُ يجترّ لذلك عُدّ في التوراة من الحيوانات المجترّة (تث ١٤ : ٧) . ويوجد الوبر في لبنان حيث يعرف بالطَّبْسُون وفي جبال سينا والحجاز حيث يعرف بالوَبْر والثَّمَن وغنم بني اسرائيل وفي جبال مصر الشرقية والسودان المصري الى الكاب جنوبًا وهو كثير في جبل كسلا على مقربة من مقام السادة الميرغنية ومن اسمائهِ في السودان الكِيكو والأَشكوكو

وقد ورد ذكر الوبر في كثير من المؤلفات العربية عدا كتب اللغة وهو في محيط المحيط " دويبة كالسنور اصغر منهُ كحلاء اللون (اظن صرابها كحلاء) حسنة العينين لها ذنب قصير جدًّا تدجن في البيوت وتعلّم وتؤكل لانها تعتلف البقول " . ويظهر من كلام الجاحظ ان الوبر كثير الوجود في بلاد العرب وذكرهُ ابن البيطار في باب سنّ الوبر وهو بول هذا الحيوان المجمع على حظر الحجاز وكانوا يستعملونهُ في الطب القديم

اما لفظة الثَّمَن فاظنها عربيَّة ولو لم ترد في كتب اللغة بهذا المعنى وذلك لمشابهتها للفظة شَمَن العبرانية وفي بعضها وكثيرًا ما تبدل الشين بالعبرانية ثاءً بالعربيَّة وبالعكس . ومن المحتمل ان عرب سينا اخذوا هذه اللفظة عن العبرانيين وبقيت شائعة بينهم الى اليوم . ولا اظن ان السيد ادّى شير مصيب في قولهِ ان لفظة الوبر فارسية الاصل فهذا الحيوان لا وجود لهُ في بلاد فارس ولا يوجد في اسيا سوى في الاماكن التي ذكرتها ولا يعقل ان العرب يأخذون عن الفرس اسمًا لحيوان كثير الوجود في بلادهم ولا وجود لهُ في بلاد فارس وفضلاً عن ذلك فان وصف الوبر مضطرب في المعجمات الفارسية وهو الارنب في بعضها . وقد بحث علماء التوراة بحثًا دقيقًا في امر هذا الحيوان ولم يتركوا لنا مجالاً للريب في ان الوبر عند العرب نفس الحيوان المذكور في التوراة والمسمى وبرًا في الزمن الحاضر وقد عُدّ في التوراة من ذوات الظلف او الحافر فلا يمكن ان يكون الارنب واذا كانت لفظة الوبر اصلية في اللغة الفارسية فالوبر الفارسي خلاف الوبر العربي ولا علاقة بينهما سوى المشابهة في اللفظ

الدكتور امين المعلوف

دولة آل عثمان

٦

ختمنا المقال في الجزء الماضي بمقتل الملك الاشرف قانصوه الغوري في مرج دابق قرب حلب وزحف السلطان سليم على الديار المصرية . وقد نظم الشيخ بدر الدين ابو النجا الصوفي زجلاً يصف به تلك المعركة وبوادرها ولواحقها وصفاً مسهباً يدل على احوال الناس في ذلك العصر فان المعركة حدثت في ايامه فوصف ما رآه وسمعهُ وذكر ما كان يتحدث به اهل بلده حتى ان من يقرأ هذا الزجل يشعر انهُ في عصر الغوري يسمع ما يقولهُ الناس ويشعر بما يشعرون به وقد بدأ الزجل بالشكوى من ابن عثمان (اي السلطان سليم) لانهُ منع التجار من جلب البضائع الى القطر المصري فقال نقلاً عن تاريخ ابن اياس

شربت شمس دولة الغوري وابن عثمان تجمو طلع ساير
وبهذا رب السما قد حكم والملك دار ولم يزل دايم
ابن عثمان باداه باخذ القلع ويتع التاجر مع الجلاّب
ان يجيبوا الى مصر مملوك ولا فروة بستور ولا سنجاب
ولا وشق ولا ثعلب يجلبوا ومن الصوف ما عاد يجينا ثياب
على الصوف ياما قعدنا سنين ما يجي من عندو ولا تاجر
والاماره جوا للملك قالوا ابن عثمان باغي عليك جاير

***

ضرب الكل بهم مشوره قالوا ملّت منا القلوب والنفوس
نحن نخرج جميع لاجل القتال بالجنايب والسلاح واللبوس
ونجرد لنصرة السلطان نكسر الروم والاراضي ندوس
راهنوا بالنفوس وهم اثار كل واحد يعجبو قاسم
ولا يدري ما خبي لهُ الغيب من تقادير القادر القاهر
خامس العشرين من ربيع آخر لسنة اثنين وعشرين عام
كان خروج السلطان بجريده لابن عثمان طالب بلاد الشام
والاماره في خدمته موكبين بالمماليك والطلب تتفاخر
وخروج الجميع من القاهره كان بتقدير الواحد القاهر

في تحفه خرج معهُ القاضي كاتب السر المنخب محمود
والخليفة المتوكل ولده يعقوب هو محمد فعلو الجليل محمود
وقضاة القضاة ومن معهم كاتب قد ابذل المجهود
دخلوا الشام اوكب فيهم موكب ما سمعنا موكب رقي مثله
ولا نالو ملك ولا سلطان في المواكب ولا احد قبله
ومن الشام خرج دخل في حلب وقطع من وعره الى سهله
وسليم شاه لما سمع اظهر ان طبعو منها بقي حاير
طلب الصلح ارسل لهم قاصد بالهدايا والملبس الفاخر
جوجواسيس الاشرف الغوري اعلموهُ انو عليهِ ماكر
قالوا احذر تركن الى صلحهم واعلم انو خاين عليك غادر
حقق القول ومن حلب برز والعساكر معولاجل القتال
وجد الروم مجهزين بالسلاح والتراكيش معمره بالنبال
ووقع بين العسكرين وقعه للفريقين شابت لها الاطفال
نصر الله المصري على الرومي وبخيلو اضحى عليهِ قادر
ولا يدري ما تدخبي في الغيب ولا يدري ما هو اليهِ صاير

ثم قال ما مفادهُ ان العسكر المصري اشتغل بنهب معسكر الروم فارتدَّ ابن عثمان عليهِ ووصف مقتل الغوري وطلب من الله ان يكشف العار باخذ الثار ويرد الكسرة على الكافر وغنيٌّ عن البيان ان هذا الزاجل ذكر ما جرى وعبَّر عمَّا كان يختلج في صدور قومهِ بلغتهم المألوفة

ولما بلغ المصريين ان السلطان سليماً اخذ الشام اوجسوا ان يزحف على مصر ويأخذها ايضاً فلجأوا الى التوسل بالاولياء وفي ذلك يقول ابن اياس

يا ابن عثمان كفَّ عن اخذ مصر بلد شرفت بخير امام
حبرنا الشافعي قطب ولي نجل ادريس عمدة الاسلام
هي تدعى كنانة من غزاها قصم الله ظهرهُ بالحسام

ثم قال ما خلاصتهُ وجعل الملك الاشرف طومان باي يستعد لطوارق الحدثان ولا سيما بعد ان بلغهُ وصول الجنود العثمانية الى غزة واخذها فعرض عجلات من خشب تجرها ابقار وفيها رماة بالبندق الرصاص وكانت نحو ثلاثين عجلة او فوق ذلك وعرض جمالاً وفوقها مكاحل ورماة يرمون بالبندق الرصاص من المكاحل فوق ظهور الجمال وعرض طوارق خشب

من جنود الاتراك رماة في القرن السادس عشر

احد فرسان الاتراك في القرن السادس عشر

فارس تركي في القرن السادس عشر

من فرسان الاتراك في القرن السادس عشر

للرماة بالنشاب فقوي قلب العسكر على القتال واظهر السلطان انهُ يخرج بنفسهِ الى قتال ابن عثمان واستحث بقية الامراء على الخروج بسرعة ولم يتفق على الامراء شيئاً وقال لهم اخرجوا قاتلوا عن انفسكم واولادكم وازواجكم فان بيت المال لم يبقَ فيهِ لا درهم ولا دينار وانا واحد منكم ان خرجتم خرجت معكم وان قعدتم قعدت معكم وما عندي نفقة انفقها عليكم

ويوم الاثنين في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ٩٢٢ خرج بعض المماليك السلطانية نحو المطرية فرأوا جماعة مقبلين من نحو بركة الحاج فلما قربوا منهم فاذا هم من جماعة ابن عثمان فقالوا لهم مَن انتم فقالوا نحن قصّاد من عند السلطان سليم شاه بن عثمان وكانوا نحو ١٥ وفيهم القاصد الكبير وهو رجل شيخ بلحية بيضاء وعليهِ ثياب مخملة ورأوا صحبتهم رجلاً من مصر يقال لهُ عبد البر بن محاسن كان كاتب الخزانة عند الاتابكي سودون العجمي فلما قتل وملك ابن عثمان حلب والشام تحشّر فيهِ بواسطة يونس العادلي والسمرقندي فلما ارسل ابن عثمان هذا القاصد ما جسروا يجيئون من جهة غزة فان نائب الشام جان بردي الغزالي كان بالقرب من غزة يحاصر جماعة ابن عثمان الذين بغزة فبرطل القاصد بعض العربان بمال لهُ صورة حتى اتوا بهم من طريق الدرب السلطاني وطلعوا بهم من التيه واتوا بهم الى العجرود فما شعر بهم اهل مصر الاّ وهم في وسط المدينة . فلما صادفهم هؤلاء المماليك قبضوا على القاصد الكبير وعلى جماعتهِ وعلى ابن محاسن ووجدوا معهم ثلاثة من العربان فقبضوا على الجميع فبينما هم على ذلك اذ رأوا ثلاثة انفار من الاروام الذين في خان الخليلي قد اتوا اليهم وسلّموا عليهم وباسوا ايديهم فقبض عليهم هؤلاء المماليك وقالوا لهم من اين علمتم ان هذا القاصد يجيء اليوم حتى اتيتم اليهِ ما انتم الاّ جواسيس من عند ابن عثمان فقبضوا عليهم بعلمهم اشبعوهم ضرباً ..... ولما مثل عبد البر بن محاسن بين يدي السلطان شرع يطنب في اوصاف ابن عثمان وفي تزايد عظمتهِ فمن جملة ما حكى عنهُ انهُ لما دخل الى حلب قطع في يوم واحد ثمانمائة رأس من جماعة اهل مصر من جملتهم خليفة سيدي احمد البدوي وآخرون من الاعيان من تخلفوا بحلب . واخبر ان عسكر ابن عثمان فوق الستين الفاً وانهُ خطب باسمهِ من بغداد الى الشام وان مملكتهُ ماشية من بغداد الى الشام وانهُ لما دخل الى الشام وملكها شرع في عمارة سور وابراج من القابون الى آخر مدينة دمشق ويقول ما ارجع حتى املك مصر واقتل جميع من بها من المماليك الجراكسة . واخبر ان ابن عثمان يتحجب عن عسكرهِ اياماً لا يظهر فيها في هذه المدة يقتل عسكرهُ خلقاً في المدينة ويجاهرون بالمعاصي وانهم لا يصومون شهر رمضان ويشربون فيهِ الخمر والبوزة ..... فلما اطنب ابن محاسن في اخبار ابن عثمان

خنق منهُ السلطان وقال لهُ انت جاسوس من عند ابن عثمان اتيت لتكشف اخبارنا وتطالعهُ بذلك فرسم بسجنهِ في البرج الذي بالقلعة . وقد قطع قلب العسكر بما حكاهُ

واضطربت احوال الديار المصرية واخذكل احد حذرهُ من ابن عثمان وقالوا مثلما طرقنا فعسّاهُ على حين غفلة كذلك هو يطرقنا ايضاً على حين غفلة فشرع الناس في تحصين اماكن في اطراف المدينة وجوانبها ليتقوا فيها اذا دخل ابن عثمان الى مصر

ثم ان السلطان نادى للعسكر ان اول النفقة يوم الاربعاء ٢٣ الشهر (ذي القعدة) فجلس في الحوش على الدكة وطلع العسكر لقبض النفقة فانفق عليهم لكل مملوك ثلاثين ديناراً وجامكية ثلاثة اشهر بعشرين ديناراً فرموا تلك النفقة في وجهه وقالوا ما نسافر حتى تأخذ مئة دينار لكل مملوك فاننا لم يبقَ عندنا لا خيول ولا قماش ولا بركٌ ولا سلاح فنزلوا كلهم من القلعة وهم على غير رضى فخنق منهم السلطان وقام عن الدكة وطلع الى المقعد وقال ما اقدر على مئة دينار لكل مملوك والخزائن فارغة من المال وان لم ترضوا بذلك فولوا عليكم من تختارونهُ في السلطنة وانا اتوجه الى مكة او غيرها من البلاد . فوقع في ذلك اليوم بعض اضطراب

وذكر ابن اياس اموراً كثيرة من هذا القبيل تدل على ان البلاد كانت فوضى ثم قال ان السلطان احتال على جمع المال ببيع ما في الخزائن من التحف والذخائر والصوف والسمور والبطيخي وارضى المماليك فانفق على كل مملوك خمسين ديناراً وثمن اللحم والعليق المتكسر من خمسة اشهر وفرّق الاموال على الفقراء في الزوايا والمزارات وقال لهم ادعوا بالنصر للسلطان وقرأ عدة ختمات عند الامام الشافعي والامام الليث

وفي الخامس من ذي الحجة وصل الامراء الذين نجوا من غزة وهم في اسوإ حال وذكروا عن ان عثمان ان مع عسكره رماحاً بكلاليب يخطفون بها الفارس عن فرسهِ ويلقونهُ على الارض . وذكر جان بردي الغزالي (الذي كان نائب دمشق) انهم رموهُ على الارض ولولا ان غلمانهُ قاتلوا عنهُ العثمانية لكانوا حزوا رأسهُ . وحكوا عن عسكر ابن عثمان انهم مثل الجراد المنتشر لا يحصى عددهم وان معهم رماة بالبندق الرصاص على عجلات خشب تسحبها ابقار وجاموس في اول العسكر

ورمج في اذهان الناس حينئذٍ ان دولة الجراكسة قد آلت الى الانقراض وان ابن عثمان هو الذي يملك البلاد لكن السلطان بقي على عزمهِ وعرض الزردخانة في عيد الاضحى وهي مئة عجلة من الخشب وتسمّى عند العثمانية عربات وكل عربة منها يسحبها ابقار وفيها

محملة نحاس ترمي بالبندق الرصاص ونزل من المقعد وركب وصار يرتب العجلات في مشيها بالميدان ثم انسحب بعد العجل مئتا جمل محملة طوارق نحو الف وخمس مئة طارقة وعجلة ايضاً بارودًا ورصاصًا وحديدًا ورماح خشب وقدام العجلات اربعة طبول واربعة زمور وقدامها من الرماة نحو مئتي انسان ما بين تركمان ومغاربة وبايديهم صناجق بملكي ابيض وكندكي احمر وهم يقولون الله ينصر السلطان وجماعة من النفطية ما بين عبيد وغيرهم يرمون بالنفط قدام العجلات

ووصف ابن اياس مرور هذا المركب في شوارع القاهرة وقال انهُ اشيع حينئذٍ ان صاحب رودس ارسل الى السلطان الف رام من جماعتهِ يرمون بالبندق الرصاص وارسل اليهِ عدة مراكب فيها بارود فوصلت تلك المراكب ثغر دمياط وهذه عولة من صاحب رودس الى سلطان مصر حتى يستعين بذلك على قتال ابن عثمان . ثم ثبت ان الاشاعة كاذبة

ووصلت الاخبار بان عساكر ابن عثمان وصلت الى بلبيس فاراد السلطان ان يخرج لقتالهم هناك فلم تمكنهُ الامراء من ذلك . قال ابن اياس ولو لاقاهم هناك لكان هين الصواب فان خيولهم كانت متعبة وهم في غاية التعب لانهم مشوا من حين خروجهم من الشام

وامر السلطان جنودهُ ان يبيتوا تلك الليلة قدام الوطاق وهم على ظهور خيولهم لابسين آلة حربهم وان لا يناموا الا مناوبةً مخافة ان يهجم عليهم العثمانيون تحت جناح الليل . فلما قرب عسكر ابن عثمان من الخانكاه خرج منها غالب اهلها باولادهم وعيالهم وقماشهم واتوا القاهرة خوفًا على نفوسهم وكذلك غالب فلاحي الشرقية خوفًا من النهب والقتل وجعل عربان السوالمة يقبضون على كل من يصادفونهُ من العثمانية ويقطعون رأسهُ ويحضرونهُ الى بين يدي السلطان فيأمر بتعليقهِ في باب النصر او باب زويلة . ثم عرض العسكر بالريدانية وهم لابسون آلة حربهم وعرض الامراء المقدمين والعشراوات وسار الى بركة الحاج ومعهُ الامراء والعسكر وعاد الى الوطاق وقدامهُ الطبول والزمور والنفوط فامتدَّت العساكر من الجبل الاحمر الى غيطان المطرية حتى سدَّت الفضاء . ولما وصل ابن عثمان الى بلبيس امر السلطان بحرق الشون التي في بلبيس وما حولها حتى الشون التي في الخانكاه فاحرقوا التبن والدريس والقمح والشعير والفول

ويقال ان رجلاً اسمهُ ابرهيم السمرقندي من المدينة الشريفة طاف من بلاد العجم الى بلاد الروم وكان يعرف اللغة التركية ووصل الى مصر والتصق بالسلطان الغوري وصار من اخصائهِ فلما جرى للغوري ما جرى التفَّ على سليم شاه بن عثمان وصار من اخصائهِ . وقيل

انهُ هو الذي حسَّن لهُ ان يدخل مصر ويتملكها ويستأصل الجراكسة منها واضمرهُ في ذلك واتى معهُ الى الديار المصرية فاحتال عليه بدوي واضافهُ وقطع رأسهُ واتى بهِ الى السلطان طومان باي وقال لهُ ماذا تعطي من يأتيك برأس ابرهيم السمرقندي فقال اعطيهِ الف دينار فاخرج الرأس من تحت برنسهِ فلما تحقق السلطان انهُ رأس السمرقندي اعطاهُ الف دينار

وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة وردت الاخبار ان جاليش عسكر ابن عثمان نزل بركة الحاج فاضطربت احوال مصر واغلق اهلها باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر وباب القنطرة وغيرها من ابواب المدينة واغلقت الاسواق وتعطلت الطواحين وقلَّ الدقيق والخبز من الاسواق ونادى النفير بالوطاق فركب العسكر قاطبةً وركب الامراء المقدمون والامراء الطبلخانات والعشراوات واجتمع من الصناجق نحو ثلاثين صنجقاً ومن المماليك السلطانية ومماليك الامراء والعربان نحو عشرين الف فارس وركب السلطان طومان باي وجعل يرتب الامراء على قدر منازلهم وصفَّ العسكر من الجبل الاحمر الى غيط المطرية ولم يقع في ذلك اليوم قتال بين الفريقين . وكان السلطان طومان باي قد نصب وطاقهُ في الريدانية وحصَّنهُ بالمكاحل والمدافع وصفَّ الطوارق ووضع عليها ثمانين من خشب وحفر خندقاً من الجبل الاحمر الى غيط المطرية وجعل خلف المكاحل نحو الف جمل جمل من السليق لانهُ ظن ان القتال يطول بينهُ وبين ابن عثمان فجاء الامر على غير ذلك لان ابن عثمان اقام يومين في بركة الحاج ثم زحف يوم الخميس في التاسع والعشرين من ذي الحجة ووصلت طلائعهُ الى الجبل الاحمر وتلاقى الجيشان في ضواحي الريدانية فكان بينهما معركة عظيمة اعظم من معركة مرج دابق وقتل من العثمانيين خلق كثير وقتل سنان باشا لا لا ابن عثمان وكان اكبر وزرائهِ وانقسم العثمانيون فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة هجمت على العسكر المصري عند الوطاق بالريدانية وطرشوهم (رموهم) بالبندق الرصاص وهجموا عليهم هجمة منكرة فقتل من عسكر مصر خلق كثير ومن الامراء المقدمين جماعة كبيرة ولم يكن الا خمس عشر درجة (ساعة) حتى انكسر عسكر مصر وولى مدبراً وثبت السلطان طومان باي بعد الكسرة نحو عشرين درجة (ساعة وعشرين دقيقة) وهو يقاتل بنفسهِ في نفر قليل من العبيد الرماة والمماليك الجلبانية ولما تكاثرت عليهِ العساكر العثمانية خاف ان يقبضوا عليهِ فطوى الصنجق السلطاني ولاذ بالفرار

اما الفرقة العثمانية التي سارت من تحت الجبل الاحمر فانها نزلت على الوطاق السلطاني وعلى وطاق الامراء والعسكر ونهبت كل ما كان فيهما من قماش وسلاح وخيل وجمال وابقار

وغنمت المكاحل والطوارق والتماثير والعربات والبارود ولم تبق شيئاً ودخلت القاهرة عنوةً وسارت جماعة منها الى المقشرة واحرقت بابها واخرجت من كان فيها من المحابيس من العثمانية والديلم ووقع النهب في القاهرة وبولاق وفي ذلك يقول الشيخ بدر الدين الزيتوني

نبكي على مصر وسكانها قد خربت اركانها العامره
واصبحت بالذل مقهورةً من بعد ما كانت هي القاهره

ويوم الاثنين سلخ سنة ٩٢٢ (٢٣ يناير سنة ١٥١٦) دخل القاهرة امير المؤمنين المتوكل على الله ومعهُ وزراه ابن عثمان والجم الكثير من العساكر العثمانية وملك الامراء خائر بك وقاضي قضاة الشافعية والقاضي المالكي والقاضي الحنبلي وكل هؤلاء كانوا في اسر ابن عثمان من حين مات السلطان الغوري . فلما دخل الخليفة من باب النصر شق القاهرة وقدامهُ المشاعلية تنادي للناس بالامان والاطمئنان والبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد اغلق باب الظلم وفتح باب العدل وان كل من عندهُ مملوك جركسي ولا يغمز عليهِ وظهر عندهُ يشنق والدعاء للملك المظفر سليم شاه بالنصر . فضجَّ لهُ الناس بالدعاء ولكن المناداة لم تجدِ نفعاً لان كثيرين جعلوا ينهبون البيوت بحجة انهم ينتشون عن المماليك الجراكسة واستمرَّ النهب والسلب ثلاثة ايام متوالية . ويوم الجمعة خُطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة وترجم لهُ بعض الخطباء في خطبتهِ فقال وانصر اللهمَّ السلطان ابن السلطان ملك البرين والبحرين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه اللهمَّ انصرهُ نصراً عزيزاً وافتح لهُ فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة يا رب العالمين . وقال ابن اياس في ختام ذلك العام هذين البيتين

ختم العام بحرب وكدَرْ وجرى للناس غايات الضررْ
وانا هم حادث من ربهم كل هذا بقضاء وقدَرْ

ثم قال ولما كثر العثمانية في القاهرة جعلوا يدورون في الحارات والازقة والاسواق وكل من رأوهُ لابساً زنطاً احمر وشخفية قالوا لهُ انت جركسي وقطعوا رأسهُ فلبس اولاد الناس كلهم عمائم حتى اولاد الامراء والسلاطين وابطلوا لبس الشخافيف والزنوط من مصر . ويوم الاثنين ثالث المحرم دخل السلطان سليم القاهرة بموكب عظيم من باب النصر واستمرَّ سائراً حتى دخل من باب زويلة ثم عرَّج من تحت الربع وتوجه من هناك الى بولاق ونزل تحت الرصيف . ولما كانت ليلة الاربعاء خامس الشهر لم يشعر الا وقد هجم عليهِ السلطان طومان باي بمن معهُ من العساكر واستمرَّ القتال الليل كلهُ واليوم التالي الى ما بعد المغرب . ثم نزل في جامع

شيخ العمري الذي بالصليبة وصار يكر على العساكر العثمانية . وانتشرت اجساد القتلى من بولاق الى قناطر السباع واعيدت الخطبة لهُ في القاهرة . واستمرت الحال على ذلك من فجر يوم الاربعاء الى يوم السبت ثامن المحرم وحينئذٍ تفرّق اتباعهُ عنهُ ولم يبقَ معهُ الاَّ نفر قليل فاركن الى الفرار وحلَّت حينئذٍ المصيبة العظمى بالقاهرة فاحرق العثمانيون جامع شيخو والبيوت التي حولهُ في درب ابن عزيز واعملوا السيف في كل مَن وجدوهُ وطرحت الجثث في الطرق من باب زويلة الى الرميلة ومن الرميلة الى الصليبة الى قناطر السباع الى الناصرية الى مصر العتيقة فكان من قتل في هذه الواقعة من بولاق الى الجزيرة الوسطى الى الصليبة اكثر من عشرة الآف نفس في هذه الاربعة الايام . وقبض العثمانيون على نحو ثمانمئة مملوك وضربوا رقابهم

وصعد السلطان سليم الى القلعة بموكب حافل ومعهُ المماليك الذين طلبوا الامان وخرب اكثر الاماكن التي في القلعة وذلك رخامها وبعث بهِ الى القسطنطينية

اما السلطان طومان باي فانهُ لجأ الى الصعيد وجيَّش الجيوش منهُ وكتب الى السلطان سليم يقول لهُ ذلك ان كنت تريد ان اجعل الخطبة والسكة باسمك واكون نائبًا عنك في مصر واحمل اليك خراجها حسبما يقع الاتفاق عليهِ بيننا فارحل عن مصر انت وعسكرك الى الصالحية واحقن دماء المسلمين وان كنت لا ترضى بذلك فاخرج ولاقني في بر الجيزة ويعطي الله النصر لمن يشاء منا . فلما وقف السلطان سليم على ما كتبهُ السلطان طومان باي احضر امير المؤمنين (اي الخليفة) والقضاة الاربعة وجماعة من وزرائهِ وكتب صورة حلف الى السلطان طومان باي ووقع الاتفاق على ان الخليفة والقضاة الاربعة يذهبون بذلك الحلف اليهِ فذهبوا ومعهم قاصد السلطان سليم وبعض رجالهِ لكن الخليفة لم يذهب معهم بل ارسل نائبهُ فلما وصلوا الى البهنسا خرج عليهم جماعة من الجراكسة وقتلوا البعض منهم ونهبوا امتعة القضاة فاغتاظ السلطان سليم من ذلك ورأى ان لا سبيل الى الصلح فنقل وطاقهُ الى بركة الحبش وامر باحضار الامراء الذين طلبوا الامان وهم اربعة وخمسون اميرًا وضرب اعناقهم بثار قاصدهِ ورجالهِ الذين قتلوا في البهنسا . ثم عبر الى بر الجيزة لانهُ بلغهُ ان طومان باي وصل الى المنوات ومعهُ جيش كبير من العربان والمماليك الجراكسة . والتقى العسكران على وردان وليل على المنوات وكان بينهما واقعة اعظم من واقعة الريدانية فدارت الدائرة اولاً على العساكر العثمانية ثم ارتدَّ هؤلاء وكسروا طومان باي ورجالهُ فلاذ بالفرار ولاقاهُ حسن ابن مرعي وشكر ابن اخيهِ من مشايخ الجيزة وطلبا منهُ ان يضيفهما ولم يكد يدخل منازلهما

حتى احتاطت به العربان وقبضوا عليه ووضعوه في الحديد واتوا به الى السلطان سليم فلما وقعت عينهُ عليه قام لهُ اجلالاً لكنهُ ابقاهُ عنده في الحديد الى يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول ثم أُركب على كديش وسير به من برانيابه الى بولاق ومنها الى باب زويلة وشُنق هناك . وقد اسف عليه اهل مصر اسفاً شديداً لانهُ كان حسن الشكل كريم الاخلاق شجاعاً مقداماً ساس الناس احسن سياسة لما كان نائباً عن عمهِ السلطان الغوري ولما تسلط بعدهُ ابطل كثيراً من المظالم

هذا وسيأتي على بقية اخبار السلطان سليم في الجزء التالي . وقد ابقينا على كثير من تراكيب ابن اياس والفاظهِ حيث لم نخشَ خفاء المعنى

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحةً ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمن براهُ منه كلو . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مختلفان من اصل واحد فمناظراك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاتب اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطالة

المأمون ويحيى بن اكثم

حضرة الدكتور الفاضل منشىء المقتطف

قرأت في الجزء الثاني من مقتطف هذه السنة تقريظاً لكم على كتاب (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) فعلتم انهُ انجبكم ما فيهِ من الفوائد الى أن وقع نظركم على احدى صفحاتهِ فانعكس الامر والتبستموهُ من يدكم مستغفرين الله مما كنتم نشرتموهُ في المقتطف من ترجمة المأمون . قائلين * ان احمد بك زكي مدرس تاريخ الحضارة العربية في الجامعة المصرية يرى ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاة العرب وينصف التاريخ * قرأت هذا فتفسمت من خلال سطوره انكم لا تتقمون من احمد بك مبالغتهُ في وصف حضارة العرب وانتصارهُ على الحسن الجميل منها بل انكم تتقمون ايضاً ان يكون للعرب حضارة وقد نسب الرواة الى خلفائهم وقضاتهم ما نسبوا

وهذا هو موضوع عنابي . بل مثار تعجبي واندهاشي

عجبت من جعل كتب الادب التي يقصد فيها عادة التكاهة والاحماض — ميزاناً توزن به رجال التاريخ . ويؤخذ عنها تراجم العظماء . ودهشت من جعل ما كان يفعلهُ خلفاء العرب وقضاتهم على فرض ثبوته — آيةً على تجرّد العرب من الحضارة . ولو جعل آيةً على تجرّد أولئك الخلفاء والقضاة انفسهم من الفضيلة لكان اقوم قيلاً . واظهر دليلاً

فمن ثمّ كان الحديث مع منشىء المقتطف الفاضل يتناول امرين : الاول ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لتلك الامة حضارة راقية . والثاني تكذيب ما جاء في كتاب (ثمار القلوب) من نسبة المنات الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم . ونحن في بحثنا هذا لا نريد ان نقيد حضرة مناظرنا قائدةً بجهلها . او ان نحيلهُ على ما لا عهد لهُ بهِ من مسائل التاريخ واطوار الاجتماع الانساني . وانما نحب ان نحيلهُ على ما اختزن في ذاكرتهِ . وقد اذهلهُ عن تذكرهِ اغراق احمد بك زكي في وصف الحضارة العربية او الاسلامية . فنقول في الامر الاول : انهُ لا علاقة منافاة بين التفنن في الملذات مهما فحشت وبين الحضارة . فلا يحسن ان يقال ان الامة الفلانية لاحضارة لها لان رجالاً منها كانوا ذوي اميال فاسدة ويتعاطون من المنكرات ما قبح وشنع . نعم قد يكون تفشي الفواحش في الامم عاملاً على انحطاطها . واماطة حلية المدينة عنها " واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميرا "— القرآن الشريف . فلو قال حضرة المنتقد الفاضل : ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية . وانحطاط شأنها . والتواء امرها — لكان لهُ وجه . اما ان فعل اولئك الخلفاء والقضاة ينافي ان ننسب الى مجموع الامة العربية حضارة فهذا امر لا وجه لهُ . الاسترسال في اللذات والتفنن في تحصيلها اثر من آثار مدنيات الامم . ولا شيءَ من هذا الاثر في الامم ذات الهمجية . وكلما ارتقت مدنية امة ارتقى هذا الاثر فيها حتى يصبح اخيرًا ضربة قاضية يصيب مقاتلها فيعميها . اعتبر ذلك في الامم الغابرة . ولم تنجُ منهُ المدنيات الحاضرة . لولا ان قادة هذه المدنيات يحوطونها بشيءٍ من التبصر وحسن التدبير من مثل تعميم علوم الصحة . وترتيب الاغذية . وفنون الرياضة الجسدية

ومدنية العرب في الاندلس وبغداد كان لها حظ وافر من التقلّب في ضروب الترف والنعيم وصنوف الملذوذات الجسدية . وقد سارت فيها على آثار من تقدمها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع : فقد جاء بعض السياح من الاندلس الى بغداد ليتفحص حضارتها ويقارن بينها وبين

حضارة بلادهِ . فكان مما رآهُ فيها حمّام لبعض امراء الخلافة . ثم وصف النائح الحمام ووصف حجرة فيهِ خاصة باغتسال الاميرمع من يختارها من حظاياهُ وصفاً مدهشاً . ثم قال ان مترفي الاندلس على ما كان من امرهم لم يبلغوا هذا المبلغ في التورّن واتانين التنعم

ولكنهم لما كشفوا في هذه الازمنة المتأخرة عن انقاض مدينة (بياي) الرومانية وجدوا حجرة فيها لبعض غلاة مترفيها تحكي في وضعها وشكلها ونقشها حجرة اميرنا البغدادي

وليس من شرط المدنية الفاضلة ان يكون كل فرد من مشهوري رجالها طاهر الذيل كريم الخلوة . ولماذا يريدون هذا في حضارة العرب ولا يريدونهُ في حضارات الامم الاخرى

وانهُ ليبلغنا عن بعض ملوك اوربا وملكاتها لهذا العصر — دع عنك الاعصر الوسطى — وعن بعض رجال فرنسا ومترفيها المحنكين واغنياء اميركا وغرائبهم في تقحم الشهوات — يبلغنا عنهم ما يكاد ينكرهُ الساذج مثلي . ومنذ ايام حدثني زميل فاضل وقف على شيء من اسرار المعيشة الاميركية . ومما رس بنفسهِ بعضاً من شؤونها : انهُ اذا استحكمت عرى المودة بين رهط من اغنياء الاميركيين المترفين كان لهم خلوات خاصة . يدعون اليها فتاة من فتيات اشتهرنَ بضرب من ضروب الرقص غاية في الخلاعة والمجون . بحيث لا يصدق ان قوماً خوطبوا بآية — من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبهِ — ينزعون الى مثل هذه المنات . ولكن هي الشهوات والثروات والخلوات

اما ما يرويهِ لنا التاريخ القديم عما كانت تأتيهِ امة المتمدنة من افانين التحشاء والمنكر فمن الغرابة بمكان . وقد قرأت في كتاب فرنسوي فصلاً ذكر فيهِ مؤلفهُ ما كان جرى بين ام احد فراعنة مصر وبين ابنة رئيس الكهنة . مما يدل على ان الدين والحشية في امر من الامم لا يمكن ان ينزعا الامراض الفاسدة من نفس كل واحد من ابنائها . اللهمَّ الا اذا نزعتا النفس نفسها . وربما ترجمت الفصل المذكور الى اللغة العربية ونشرتهُ في بعض اعداد المؤيد . وهذه الخزاية التي تنخع بها المتمدن العربي وشوّهت اسم بعض رجالهِ تلطخ بها المتمدن اليوناني والروماني وتاريخ كثيرين من عظمائهِ : فلم يحكم على سقراط اشهر حكماء اليونان بالقتل لكونهِ ألحد في الآلهة فقط بل لانهُ افسد غلمان البلد ايضاً . وذكروا انهم لما اعطوهُ كاس السم ليتجرعهُ امسك الكاس بيد وجعل يعبث بشعر (السيباد) عشيقهِ باليد الاخرى

وقد قالوا في يوليوس قيصر اقبح قول ووصفوا ميلهُ الفاسد بابلغ وصف . ومثلهُ في ذلك نيرون وادريان . وقل يخلو متحف من متاحف اوربا من تمثال لانطونين عشيق ادريان المذكور

فما عزي ان المأمون وقاضيهِ على فرض وقوعهِ لا ينالهُ ان يكون للعرب حضارة ذات

شأن . فما بالك اذا كان الخبر من اصله حديثاً مفترى . وهذا هو الامر الثاني الذي جئنا نعاتب عليه حضرة منشيء المقتطف الفاضل من حيث انهُ صدقهُ وبنى عليهِ حكمهُ الجائر

ذكر ثقات المؤرخين من عظمة الخليفة المأمون . وكبر نفسهِ . وعلو همتهِ . وطهارة اخلاقهِ . ما لا يجتمع قط مع هذه القاذورة التي اتهم بها . ولو صح ما قالهُ عنهُ صاحب كتاب (ثمار القلوب) لكان في الدرك الاسفل من الخسة والدناءة . واذكر ان بعض المحققين قال : انهُ ما كان يأخذ على المأمون سوى قولهِ بخلق القرآن . ولم يحملهُ على هذا القول الاَّ تعمقهُ في علم الكلام (اللاهوت) . ونسبة الفحشاء الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم في البطلان كنسبة شرب الخمر اليهما : حتى زعموا ان القاضي سكر مرةً مع شرّبٍ فيهم الخليفة فأمرهم ان يدفنوهُ بالرياحين ففعلوا ثم افاق وانشد

يا سيدي وامير الناس كلهم قد جار في حكمهِ من كان يتقيني
إني غفلت عن الساقي فصيَّرني كما تراني سليب العقل والدين

يا سبحان الله : هل يعقل ان قاضياً وراوياً لحديث رسول الله مثل يحيى بن اكثم يقول وهو نشوان في حضرة اكبر خليفة ولأنهُ اكبر وظيفة دينيَّة — انهُ مسلوب العقل والدين !!!

وقد تناقل الرواة والقصاصون نسبة المعاقرة الى المأمون ويحيى حتى بلغت ابن خلدون فكتبها في مقدمة مقدمتهِ . وقال ان ما يعزى اليهما والى هرون الرشيد من المعاقرة لا اصل لهُ . وانما هم كانوا يشربون النبيذ . ولم يكن محظوراً عندهم (يعني لانهُ غير مسكر) . وقال ايضاً ثبت ان المأمون وقاضيهُ كانا يصليان الصبح جميعاً . فاين هذا من معاقرة الخمور . وارتكاب الفجور . وما ذكرهُ صاحب (ثمار القلوب) ظاهر عليهِ التردد والضعف : فهو تارةً يقول (يحكى) وطوراً (يقال) ومما استدل بهِ : ان المعتصم انما اتخذ الغلمان من الاتراك جنوداً لهُ اقتداء بأخيهِ المأمون في الميل اليهم . مع ان محققي المؤرخين قالوا انهُ اتخذهم ليقاوم بهم عصبية الجند العربية التي ربما كانت تناوئ الخلافة العلوية . ومن التناقض البين ان صاحب (ثمار القلوب) قال في وصف يحيى " انهُ كان متقدماً في الفقه وآداب القضاة " ثم نقل بعد ذلك ما رواهُ الراوون عنهُ . فاي ادب للقضاة مع هذه التهمة ؟ واذا ذكرنا لك ما قالهُ علماء الحديث في يحيى بن اكثم تبينت لك قيمة الخبر من الصحة ويتبع ذلك براءة المأمون نفسهِ لان مؤلف ثمار القلوب زعم ان يحيى هو الذي اغراهُ بهذا الشيء وزينهُ لهُ :

كان يحيى بن اكثم من كبار رجال الحديث . وقد خرّج عنهُ الترمذي صحيحهُ . وروى عنهُ البخاري . واثنى عليهِ احمد بن حنبل . وذكرهُ ابن حبّان في الثقات . اي عدهُ

في جملة رواة الحديث الذين يوثق برواياتهم . فاذا صدقنا بعد هذا كله ما قيل في يحيى نكون اساءنا الظن بهؤلاء الرجال من ائمة الحديث . وكذبناهم في اخص وظائفهم التي هي نقد رواة الحديث . وتمحيص اخبارهم . وانكشف عن مساويهم . وهم لا يدوّنون اسم احد في الثقات ما لم يبلغوا الغاية في البحث والتنقيب فمن المستبعد جداً ان يؤدوا شهادة حسنة يحيى . ويعدوه في الثقات الذين تتلقى عنهم احكام الدين وتعاليمه . ثم يكون امره على الحالة التي وصفها القصاصون ورواها بعض الادباء في كتبهم . والثعالبي مؤلف (ثمار القلوب) مهما علت منزلته في فن الادب فليست له منزلة في فن الحديث . ونقد رجال الرواية . وما هو الا أديب يحب النكاهة . ويروي النكتة . ويدوّن كل ما له علاقة بالشعر وفنون الادب . اما التمحيص والتحقيق فقد تركه للمشتغلين به من علماء التاريخ والحديث

على ان هؤلاء لم يفتهم خبر تلك التهمة التي الصقت بيحيى . ولم يألوا جهداً في تكذيبها وتفنيد رأي راويها : فقد قال ابن خلدون " وكذلك ما ينبذ الجهال به يحيى بن اكثم من الميل الى الظلمان بهتاناً على الله . وفرية على العلماء . و يستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائه : فانهُ كان محسوداً في كماله وخلّة (صداقته) للسلطان . وكان مقامهُ من العلم والدين منزهاً عن مثل ذلك . ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا ؟ وانكر ذلك انكاراً شديداً . واثنى عليه اسماعيل القاضي (وهو من كبار رجال الحديث) فقيل لهُ ما كان يقال فيه . فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله بتكذيب باغ وحاسد . واني ابرأ الى الله من ان يكون فيه شيء مما يرمى به . ولقد كنت اقف على سرائره فاجده شديد الخوف من الله . لكنهُ كانت فيه دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي به "

فدلنا قولهم هذا على ان منشأ التهمة امران : وجود اعداء لهُ يحسدونهُ على تقربه من الخليفة . والدعابة التي فيه : فقد يفاكه غلاماً من كتّاب الدواوين لأمر حقير يراهُ في وجهه مثلاً فيقول قائل ان القاضي يتعشق ذلك الكاتب حتى اذا وصل الخبر الى رئيس الديوان او غيره من رجال قصر الخلافة وفيهم من يحسد القاضي ذكروا ذلك للخليفة . فيضحك الخليفة او يقطب زجراً للقائل . وعلى كل حال تعدّت التهمة اليه نفسه . فاذا بلغ الامر ابا نواس او غيره من الشعراء شياطين النكتة او غواة تلك الفاحشة نظموهُ شعراً . وربما كان لهم من يتعمد ترويجهُ في عقول الناس احتجاجاً به على حسن فعلته . واستقامة طريقته وهكذا كل من ارتكب منكراً . او اعتاد رذيلة . تراهُ احياناً يسقط اخبار الرؤساء

والفضلاء . حتى اذا توهم ان احداً منهم مبتلى بما ابتلي به هو اذاعهُ بين الناس : فالخائن والحقود واللئيم يسرهُ جداً ان يتهم كبار القوم بمثل ما اتهم هو به . والمدمن يزعم ان فلاناً وفلاناً من الفضلاء يتعاطون الشراب سرّاً والمبتلى بالحشيش لا يقف عن هذا الحد بل يذهب الى ان الحشيش مما اكتشفهُ اهل الله وكبار رجال التصوف . وانهم يتعاطونهُ لاجل ان تصفو نفوسهم من الاكدار وتلحق بافق الملائكة الاطهار

فقد تحصل معنا كذب ما رواهُ الراوون عن المأمون وقاضيهِ كما تبين ايضاً ان هذه الرواية واشباهها مهما فرضنا صحتها لا تقدح في حضارة العرب ولا تنفي وجودها . واذا كان في هذه الحضارة ما يؤخذ عليها كما اخذ على غيرها فان الكمال لله وحدهُ

القاهرة في ٧ مارس سنة ١٩٠٩ عبد القادر المغربي

[المقتطف] تدور رسالة حضرة المنتقد الفاضل على ثلاثة امور اولاً نتشمهُ من خلال سطورنا اننا نفتم ان يكون للعرب حضارة . والثاني نسبتهُ العيوب الى بعض العظماء ولا سيما الى سقراط كبير الحكماء لكي يستدل من ذلك على ان نزوع عظماء الامة الى الملذات الجسدية لا ينفي ان يكون لها حضارة راقية . والثالث وهو الاهم نفي ما جاء في كتاب ثمار القلوب عن نسبة المغنات الى المأمون وقاضيهِ يحيى بن اكثم

والامر الاخير هو الاهم وبهِ الغناء عن الامرين الاولين ولذلك نقدمهُ بالذكر ونقول اننا لما قرأنا ما تراهُ في كتاب ثمار القلوب لم يخطر ببالنا ان احداً ينفي روايتهُ ولو خطر ذلك لنا لاشرنا اليهِ واظهرنا غيظنا من الثعالبي لذكره هذه التهمة . ومن لا يغتاظ من نسبة امر قبيح مثل هذا الى من نعدهُ اساس النهضة العلمية العربية لا سيما وان الثعالبي من الثقات الذين يؤخذ بقولهم لم يذكر القصة في معرض الريب بل ذكرها كأنها من الامور المتعارفة التي تضرب بها الامثال . ولا يخفى انهُ اذا تعادلت حجة الاثبات وحجة النفي فحجة الاثبات اقوى لان من حفظ حجة على من لم يحفظ . ولكننا اميل الى تصديق الثاني في امر المأمون وقاضيهِ منا الى تصديق المثبت ونعتقد ان حجج النفي قاطعة في هذه المسألة . ولو اكتفى حضرة المنتقد الفاضل بتبرئتهما خلا كلامهُ من كل ما نؤاخذهُ بهِ

والتعليل الذي اوردهُ لاصل هذه التهمة معقول ولكنهُ ببيض وجهين ويسوّد وجوهاً لانهُ حكم على الذين اتهموا المأمون وقاضيهُ انهم من مرتكبي ذلك المنكر ومعتادي تلك الرذيلة فتوهموا انهما مبتليان بمثل ما ابتلوا هم بهِ

وعلامة لنا على تصديننا الخبر كان يصح لو خلت كتب اللغة وكتب الادب وكتب التاريخ مما يحلة ولحلة . من فتح القاموس وقرأ صفحة فيه ولم يحمر وجهه خجلاً ومن قرأ المستطرف وهو من نخبة كتب الادب ولم يرَ فيه من تلك المنات بل الكبائر ما يحمر منه جبين الادب . وان قيل ما علاقة ذلك بالحضارة قلنا هذه مسألة اخرى سنبحث فيها قريباً

الامر الثاني استشهاد حضرة المنتقد بمساوىء بعض الامم للاستدلال على ان الاسترسال في اللذات اثر من آثار المدنية . ولا ندري لماذا لا يقول انهُ داء يظهر في جسم المدنية فيميتها كما اشار الى ذلك اولاً وهب انهُ اثر من آثار المدنية فهل يؤاخذ ذلك دليلاً على استحسانه او عدم استهجانه او على تسويغ الاغضاء عنهُ ونحن نبحث عن اسباب ارتقاء الامم وانحطاطها . ولقد قال اننا لو قلنا ان ما كان يفعلهُ بعض الخلفاء والقضاة ادى الى ضعف الامة العربية وانحطاط شأنها والسواء امرها لكان لنا وجه . فان كان الامر كذلك افليس لنا ان نؤاخذ من يشرح مدنية العرب ولا يشير الى المنات التي اضعفتها وحطّت شأنها

واشارة المنتقد الى سقراط خطأ ادّى اليه سوء الترجمة فان الكلمة التي ترجمها بكلمة افسد غلمان البلد وترجمتها دائرة المعارف بافساد الاحداث معناها تضليل الاحداث او افساد اخلاقهم وآدابهم ولا تأتي هنا بغير هذا المعنى . ولقد اوضح زينفون تلميذ سقراط كيف استدل خصوم سقراط على صحة هذه التهمة فقالوا انهُ " اولاً علم اتباعهُ ان يحتقروا قوانين البلاد ولاسيما الانتخاب بالقرعة . وثانياً عدّ بين اصحابه كرمياس والسيادس واولهما من زعماء الحكم الاستبدادي والثاني من زعماء الحكم الجمهوري وكلاهما من اشد الزعماء خطراً . وثالثاً علّم الاحداث ان يحصروا والديهم واوصياءهم وان يفضّلوا سلطتهُ على سلطتهم . ورابعاً انهُ استشهد بابيات من هوميروس وهسيودس تضرّ بالآداب العمومية والحكم الجمهوري " . وما من احد قرأ عن سقراط الاّ وهو يعلم انهُ من احكم الحكماء وافضل الفضلاء سيرةً وسريرة . ولكن هب انهُ كما فهم المنتقد وهب ان جمهوراً كبيراً من الملوك وقضاتهم كذلك فهذا لا يحو وصمة العار عن المأمون وان اكثم ان كان ما نُسب اليهما صحيحاً لان الاسودين لا يكونان ابيض كما يقول المثل الانكليزي . واستشهادنا بعيوب الغير تنمُّلاً من عيوبنا شنشنة قبيحة نخجل حضرة المنتقد عنها

ونأتي الآن الى الامر الثالث الذي قدّمهُ المنتقد بالذكر وهو انهُ تنسّم من خلال سطورنا "اننا نتمم ان يكون لنعرب حضارة" وهو موضع عتاب كاتب هذه السطور وشارحيه واندهاشه فان المقتطف نوّه بحضارة العرب وانشأ فيها الفصول الطوال قبلما ولد اكثر اصحاب القلم

من ابناء هذا العصر. ولما رأينا كتاب حضارة الاسلام في دار السلام لمؤلفه المأسوف عليه جميل المدور طبعناه على نفقتنا تنويهاً بحضارة الاسلام. وكلما رأينا اثراً من آثار تلك الحضارة اخذتنا هزة الطرب. وبالامس كان كاتب هذه السطور ماراً امام سواحل الاندلس فكادت العبرات تفيض من عينيه وسمك القلم ليصف ما شعر به فكتب شعراً بدل النثر الشدة انفعاله قال

نصر الله امة اذ تولى امرها العادلون بين الخلائق
قام صديقها باصدق امر وتلاه الفاروق بالعدل فارق
وكماة في الكرمات تباروا وهم الاسد في صدور القيالق
دوخوا الارض وطدوا الملك قاموا بفروض الكتاب تحت البيارق
ثم عزوا والملك صار عضوضاً فاستكنوا كأنهم في حدائق
وتباروا في البذخ فالظلم فالا ينقال في ما يعد ذلك ماحق
شمس عدل ضمت شعوباً فلما كفت ترقى الشعوب طرائق

وقال قبل ذلك

شمخ الروم قبل ذاك وجاروا هل اتاهم ان ليس للخلق خالق
والتخ الفساد والفرس جاسوا بجزة خائفين حتى الخنائق
واذا الظلم والفساد اقاما نضب الحوض من حماة الحقائق

فلخص تاريخ الحضارة الاسلامية تخلص من يعرف مقامها ويبين الاسباب التي تؤسست اركانها كما قوضت من قبلها حضارة الروم والفرس

وان من يكتب تاريخ امة قامت وعزت ثم انحطت وضعف شأنها لا ينصف التاريخ ولا سامعيه اذا لم يذكر اسباب قيامها وعزتها واسباب وانحطاطها وضعفها. وزبدة المقال ان المنتقد الفاضل احسن في دفاعه عن المأمون وابن اكثم واتى باحسن ما يقال في هذا الموضوع. واذا لم يكن لسطر الذي كتبناه من فائدة غير تنبيه حضرته الى كتابة ما كتب في نفي هذه التهمة لكفى بها فائدة. ولكنه لم يحسن في ما استنتجه من كلامنا لانه لا ينطبق على كل ما جاء في المقتطف منذ ثلاث وثلاثين سنة الى الآن ولا هو مرادنا ولا مقتضى ايرادنا والسلام

آمنت وصدّقت

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف المحترمين

ما جئت لاعترض على مقالة تنازع البقاء. غير ان صاحبها في آخرها يستأذنني من فضلكم ان يحول معي — اذا سمح المقتطف — في موضوع اعدّ له المعدّات منذ زمان طويل وحالت حوائل دون نشره عنوانهُ " المادة والروح " فانا اشكرهُ على تفضُّلهِ واستئذاني والتمس منهُ ان لا يكلّف نفسهُ لاجلي هذا العناء

الدكتور
شبلي شميل

مصر في ٥ مارس سنة ١٩٠٩

الحالة المالية

استيضاح

حضرة الفاضل منشئ مجلة المقتطف الزاهرة

اولاً نشرتم في مقتطف الشهر الماضي مقالة شائقة عن الحالة المالية بالقطر المصري جديرة بالحفظ والادخار وحريّة بان يطالعها كل مصري ليعلم حالة قطره في الحال والاستقبال وارجوكم ان تفيدوني عن امر اشكل عليَّ فهمهُ فيها وهو

قلتم ان الصادرات بلغت ٢١ مليون جنيه سنة ١٩٠٨ والواردات ٢٥ مليون جنيه فيكون العجز ٤ ملايين وان القطر يدفع ٧ ملايين فائدة دين الحكومة والاهالي فيكون المكسور على القطر ١١ مليوناً . ثم ذكرتم انهُ يلزم ان يضاف الى قيمة الصادرات ٤ ملايين فوق قيمة تقدير الجارك ومليونان مما يتحصل من السياح والسفن و ٣ ملايين مما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية او بعبارة اخرى يضاف ٩ ملايين جنيه فيكون المكسور على القطر مليونين فقط لكن بينتم في الصفحة ٢٣٤ (من صحائف هذه المقالة) انهُ يجب ان يضاف على الصادرات (وهي ٢١ مليون) مبلغ ٦ ملايين (من فرق تقدير الجارك و ٢ من السياح والسفن) فتكون الصادرات ٢٧ مليوناً وهذا صحيح ويطرح من الواردات ٣ ملايين (ما تضيفهُ الحكومة على الثروة العمومية) فيبقى ٢٢ مليوناً مع ان هذه الواردات قيمتها ٢٥ واذا طرحنا منها ٣ يبقى ٢٢ مليون وبذا تزيد الصادرات عن الواردات (٢٧ — ٢٢) ٥ ملايين جنيه اي لا ينكسر على القطر شيء بل يكسب ٥ ملايين جنيه فما صحة ذلك

ثانياً — لا ينكر احد فائدة البضائع الوطنية وضرورة تشجيع الصناع والتجار الوطنيين

لكن ارى انهُ يجب عليهم ان يقلدوا الاوربيين في صنع وبيع البضائع الرخيصة غير المتينة حتى يسهل تداولها وتروج التجارة وتزيد حركة الاعمال والاَّ فما فائدة الاتجار بالبضائع التي تعيش طويلاً ولا تتغير. واضرب لذلك مثلاً. يصنع الساجون في الوجه القبلي من القطر المصري عباءات واحرمة تعيش العباءة منها ٥ او ٦ سنين والحرام ١٠ او ١٥ سنة فكيف يعيش صانعها او كيف يعتني مثل الاوربيين اذا كان الشاري (او الزبون) الذي يشتري منهُ حراماً هذا العام لا يعود اليهِ ويشتري منهُ آخر الاَّ بعد ١٠ اعوام او ١٥ عاماً

مشترك في المقتطف

مستفيد

المقتطف — اولاً ان ما اشكل عليكم فهمهُ يتضح لكم مما يلي : —

(المصروفات) التي صرفها القطر ثمن وارداتهِ ٢٥ مليون جنيه

يطرح منها ما هو باقٍ فيهِ كراس مال ٣

فالباقي وهو المصروف الحقيقي ٢٢ مليون جنيه

يضاف اليهِ فوائد دين الحكومة والاهالي ٧

جملة المصروف ٢٩ " " "

(الايرادات) ثمن الصادرات من القطر ٢١

ما يضاف اليها فوق تقدير الجمارك ٤

من السياح والسفن ٢ والمجموع ٢٧ " " "

فالمكسور على القطر ٢ " "

ولم نقل في الصفحة ٢٣٤ انهُ يطرح من قيمة الواردات ٣ ملايين فيبقى ٢٩ بل قلنا ان صافي الخارج اي صافي ثمن الواردات مضافاً اليهِ ما تدفعهُ الحكومة والاهالي فائدة. لان هذه الاموال كلها خرجت من البلاد. والذي خرج من البلاد هو فائدة ديون الحكومة والاهالي اي ٧ ملايين وثمن الواردات مطروحاً منهُ ثلاثة ملايين اي ٢٢ مليوناً والجملة ٢٩ مليوناً

ثانياً اذا اعتبرنا الامة بفعلهِ زيد صانع العباءة وعمرو مشتريها فحكمكم صحيح اي ان زيداً يكسب ما يخسرهُ عمرو واذا لم يخسر عمرو شيئاً فلا يكسب زيد شيئاً ولكن الامة لا ينظر اليها هذا النظر بل تعتبر كجسم واحد او كشخص واحد. وهذا الشخص لهُ قوة

محدودة فاذا بذلها في عمل عبادة تقيم شهرًا وتتلف يكون انتاعها في شهر واذا بذلها في عمل عبادة تقيم عشر سنوات يكون قد استفاد منها عشر سنوات . والامة الراقية يعرف افرادها ان العبادة التي تقيم عشر سنوات افضل كثيرًا من التي تقيم سنة او بعض سنة فيشترون الاول ويتركون الثانية واذا لم يكن جمهور افرادها كذلك فيجب ان نعلمهم حتى يصيروا كذلك. ولو عرف التجار انهُ لا يروج عندنا الاَّ البضاعة الخالية من الغش لاتونا ببضائع خالية من الغش فقط فيكون النفع منهُ للامة كلها . اما الحال الحاضرة فمآلها الخسارة والخراب

تعليم العربية

حضرة الفاضلين منشئي مجلة المقتطف الغراء

بينما كنت اسرح الطرف في رياض مقتطفكم الزاهر عثرت في باب المراسلة والمناظرة من عدد مارس على "مذهب جديد في تعليم العربية" لاحد الفضلاء وفيهِ وصف الداء والدواء في تعليم العربيَّة اي ذكر بعض الصعوبات وكيفية ازالتها حسب رأيهِ — والصعوبتان اللتان ذكرها اي امكان تشكيل الخط الغير المشكل على طرق مختلفة وعلم شيوع اللغة الفصحى هما بلا جدال من اكبر العقبات في تعلم العربية — اما الصعوبة الثانية فلا يمكن ازالتها الاَّ بعد تعميم التعليم وبعد ان تعلم اولاد كل طبقات الامة وتجعل اللغة الفصحى لغة الدرس والتدريس ولا بأس بعد ذلك اذا بقيت اللهجات المختلفة وكان للجميع ملكة التعبير عن الافكار باللغة الفصيحة — وهذا هو الحال في المانيا مثلاً فان لغة اللهجات فيها الى اللغة الفصحى تكاد تكون كما هي الحال في العربية على ان الجميع هناك يستطيعون متى ارادوا ان يتكلموا باللغة الفصيحة المكتتبة — وعسى ان يدنو الوقت لتنفيذ مواد التعليم في القانون الاساسي فيعم التعليم ويجعل الزاميًّا في كل الممالك العثمانية

اما صعوبة تشكيل الكلمات فيمكن ازالتها بالدرس المتواصل والتمرين الكثير — وقد اقترح الكاتب الفاضل صرف النظر عن تعليم قواعد اللغة من صرف ونحو في "الفرق الاولية" الى استظهار الكثير من القرآن الكريم ومن اشعار العرب بعد الاسلام ثم تكليف الطلبة انشاء منشآت وتدريبهم على الخطابة — اما من جهة الامر الاول فاقول انهُ من المستحسنات ان يحفظ التلاميذ عن ظهر القلب بعض الفصول والآيات من الكتب المنزلة (القرآن عند المسلمين والتوراة والانجيل عند النصارى) وكذلك حفظ شيء من الشعر والنثر ولكن لا يجوز على كل حال التثقيل على عقول التلاميذ فان الحفظ غيباً يقتضي وقتاً كثيرًا وتعباً شديدًا

يمكن صرفها في امور أخرى في التعليم وتكون الفائدة اكبر . وقد يورث التغييب الكثير التلميذ مللاً وضجراً يذهبان غالباً بكل لذة التعليم والمدرسة

ولست ادري كيف ينتظر حضرتهُ من " الفرق الاولية " ان ينشئوا منشآت ويخطبوا خطباً — ويناظروا بعضهم بعضاً قبل ان يتعلموا شيئاً من قواعد اللغة وهي من اصعب الامور فمن اين لهم الافكار والذوق والادراك والانشاء والمقالات والخطب — أليس الاجدر بنا ان نمرّن عقول التلامذة على الافتكار والتكلم بكل الوسائل الممكنة بواسطة الصور والحديث عن البيت والعائلة والحقل والبستان وهلمَّ جرّاً — اذ لا يليق بنا ان نمرّنهم على ابسط قواعد اللغة كما فعل المرحوم رشيد الخوري الشرتوني في كتابهِ " مبادىء العربية " ولماذا لا يمرّن الصغار في بعض مواد الصرف والنحو كالجمع المكسّر. ولم لا يعوّدون النظر الى عدد أصول احرف الكلمة وما اشبه — ويحسن التدرج في تعلم قواعد اللغة حسب القاعدة المشهورة : من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن المعلوم الى المجهول ومن المألوف الى غير المألوف — وعلى كلٍّ يجب الانتباه الى القصد من تعليم اللغة في المدارس الابتدائية والى الوقت المسموح به لذلك فليس القصد تخريج علماء في اللغة بل غاية القصد ان يفهم التلامذة ما يطالعونهُ في الكتب والجرائد والمجلات وان يحلّوا كيفيّة التعبير عن افكارهم بلغة صحيحة مهذبة مجتنبين الاغلاط الكتابية واللغوية

واما الانشاء في المدارس فلا يجوز ان يُشتغل بهِ قبل ان تكون عقول التلامذة قد تمرّنت وصاروا يحسنون القراءة والكتابة وذلك فلا يكون قبل نهاية السنة الرابعة المدرسية يجب تدريبهم على كتابة انشاءات سهلة فصعبة فأصعب ولا بد من تصليحها وإلفاتهم الى اغلاطهم والى ما كان يمكن ان يكون التعبير بهِ اصح والكلام ابلغ

ولي كلمة في الكلام على كتب القراءة المتداولة في المدارس الابتدائية — لا ينكر ان لهذه الكتب تأثيراً ليس بقليل في عقل التلميذ وآدابهِ واخلاقهِ وانشائهِ وذوقهِ فيجب بذل الهمة لجعلها صالحة لهُ ومهذبة اياهُ . قال لكن الالماني " الافضل والاحسن هو الحسن للاولاد ليس الأ " واذا نظرنا الى كثير من كتب القراءة وصرفنا النظر عن الورق السخيف والتجليد الواهن نجد بين مقالاتها النفيسة مقالات تافهة ليس من ورائها نفع وقد نجد قطعاً تفوق كثيراً ما يدركهُ عقل الولد فيجب اختيار افضل ما كتب بالعربية نثراً ونظماً وما يناسب من الاولاد وان يجتنب الكلم الوحشي غير المألوف ويبدل بكلام مألوف كثير الاستعمال — ويا حبذا لو تنقحت هذه الكتب قبل اعادة طبعها وحذف منها ما هو غير نافع

وعرّض عنهُ بما هو جزيل الفائدة ويا حبذا لو أُعني كل الاعتناء بطبعها ودقق كل التدقيق في تشكيل الكلمات في الكتب المشكلة منها لكي لا يعتاد التلاميذ تلفظاً مغلوطاً يكاد يستحيل اصلاحهُ في المستقبل ويا حبذا لو وضعت كل الحركات والسكنات والضوابط التي يؤمن بها اللبس ولو كانت الكتب غير مشكولة عند التلفظ بها واصطلح على وضع علامات للاستفهام والنداء وما اشبه ابرهيم مخائيل عطا

باب الزراعة

المعرض الزراعي الصناعي

افتتح سمو الخديوي المعظم المعرض الزراعي الصناعي يوم الاربعاء في الثالث من مارس بالاحتفال المعتاد . فاجتمع المدعوون الى الاحتفال رسميًّا يتبوّأون الى حديقة المعرض من الساعة العاشرة ونصف صباحاً وهم حضرات اصحاب الدولة امراء العائلة الخديوية وحضرات النظار ومستشاري الحكومة واكابر رجال المية وسعادة محافظ العاصمة واعضاء الدومين وصندوق الدين وجناب السر الدن غورست وغيرهم من وكلاء الدول واكابر الاعيان والتجار ورجال الصحافة من وطنيين واجانب

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً اقبل سمو الخديوي المعظم في موكبهِ الحافل وهو يسامر في مركبتهِ عطوفة بطرس باشا غالي رئيس النظار فصدحت الموسيق بالسلام الخديوي وخف دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الخديوية الزراعية وحضرات اعضاء مجلس ادارتها وغيرهم من اكابر رجالها فاستقبلوهُ بالاجلال والاكرام وحياهم سموهُ مصافحة وحيا كذلك حضرات البرنسات الفخام ووكلاء الدول ورجال الحكومة وغيرهم وتوجه الى دار المعرض حيث سار دولة البرنس حسين بجنبهِ يشرح لسموهِ ما هو معروض فيها من محصولات القطر كالقمح والذرة والشعير والفول والارز وسائر انواع الحبوب والقطن على اختلاف اصنافهِ وقصب السكر والبنجر وبعض الحاصلات الحيوانية من لبن وجبن وزبدة وعسل وشمع وما شاكل . والخضر على اختلاف اصنافها وانواعها ومما استوقف الابصار هناك خصوصاً شجرتا قطن زرعتهما مصلحة الدومين في قطعتين متجاورتين من ارض واحدة

وخدمتهما خدمة واحدة من كل وجه ولكن الواحدة زرعت في ارض مصرفها عميق والاخرى في ارض ليست كذلك فنمت التي زرعت في القطعة الاولى اضعاف ما نمت التي زرعت في القطعة الاخرى وكان محصول الفدان من الارض ذات المصرف العميق ثمانية قناطير ومحصول الفدان من الارض الاخرى ثلثة قناطير فقط فالعبرة كلها بالري والصرف

وتوجه سموه بعد ذلك الى الصيوان الذي عرض فيهِ صنع الكسوة الشريفة وكان كل الصناع من الحاكة والمطرزين وغيرهم لابسين الطيالس المتعبة فوق ثيابهم المعتادة. وقد سر المشاهدون بعرض هذه الصناعة الجميلة المتقنة وشكروا عبد الله بك قائق مديرها على هذه الفكرة. ومما يستحق الاعتبار ان سر هذه الصناعة محصور الآن في شيخ جليل طاعن في السن وولديهِ لا يعرفهُ سواهم فهم يديرون العمل من حياكة ونسج وتطريز ويتوارثون هذا السر خلفاً عن سلف وهذا ليس من الحكمة ولا الصواب بل هو من الامور التي افتقدت الشرق سر صنائع كثيرة بانقراض الذين كانوا حافظين سرها وقد قيل لنا ان ذلك الشيخ عرض على الحكومة مراراً ان يعلّم غيرهُ سر صناعتهِ اذا رتبت لهُ معاشاً يرثهُ ولدهُ من بعدهِ فلم يجب الى طلبهِ فيحسن بالحكومة تلافي هذا الامر بما يرغب الشيخ في تعليم كثيرين سر صناعتهِ. وقد رأينا نموذجات مما كان يصنع للكسوة في الماضي ومما يصنع الآن وهو يفوق الماضي اتقاناً وجمالاً وحسن كتابة ولكن حرير هذه الايام ادنى من حرير الايام الماضية كثيراً

وبعد ما طاف الجناب العالي بانسام المعرض الزراعي قسماً فسماً ودّع وعاد باليمن واقبال فوُدع بمثل ما قوبل من الاحتفال والاجلال وتم بذلك افتتاح المعرض

نظرة اجمالية

وقد تنقلنا في المعرض برهة مع جمهور المدعوين والقينا عليهِ نظرة اجمالية فوجدنا انهُ متقدم على ما سبقهُ من المعارض في القسم الصناعي خصوصاً ولكن المواشي والدواب المعروضة فيهِ اقل مما كان في المعرض الزراعي الاخير ولا غرابة في ذلك فعرض المواشي والدواب يقتضي نفقة كبيرة فلا يرغب فيهِ عامة الاهالي الاَّ اذا نالوا منهُ عوض ما ينفقونهُ كأن تعطى لهم جوائز نقود وهذا غير ميسور الآن فيكتفى بعرض المواشي في معارض الاقاليم

ومما يشرح الصدر في هذا المعرض خصوصاً معروضات المصانع الوطنية ولاسيما معروضات المدارس الزراعية والصناعية ونحوها. فتلامذة مدرسة الزراعة المصرية يستقبلون المشاهدين بوجوه باشة ويعرضون عليهم معروضاتهم الزراعية المتعددة الاشكال ومدرسة محمد علي الصناعية بالاسكندرية عرضت معروضات على غاية بالاتقان من صنع تلامذتها وتليذاتها

في التجارة وعمل الاثاث والحدادة وسكب الحديد والسروجية وصنع الاحذية وعمل الكراسي من الخيزران والتطريز البديع ومن جملة ذلك صورة جامع قايتباي وكلها من تطريز تلميذاتها ومدرسة الصنائع والفنون ببولاق ومدرسة الورش الصناعية عرضتا معروضات بديعة متقنة من عملها . ومدرسة العميان عرضت مصنوعات متعددة الاشكال والالوان على غاية الاتقان . ومدرسة محفل الاتحاد بالمنصورة عرضت معروضات جميلة ومعمل الجمعية الزراعية الكيماوي عرض معروضات عديدة

وقد عرض افراد الصناع والتجار وباعو الآلات الميكانيكية معروضات عديدة كمحل الن والدرسن ومحل حسبو ومحل اورفستين وكوبل ومحل كوك ومحل هاجوبان والكسندر يونغ ووابورات مكلارين وقصابيته ومحل سنجر صاحب آلات الخياطة وقد اراانا مديرهُ رسم الجناب العالي مصنوعاً بآلة خياطة من آلاته وقال لنا ان المقطم انتقد رسم سموه الذي عرضناهُ منذ اربع سنوات واصاب في انتقاده لحسننا ذلك على الاعادة والتكرار حتى اتقنا هذا الرسم غاية الاتقان بفضل الانتقاد المصيب . وقد رأينا نولاً لنسوجا حبيقه بنسج الحرير الكشمير نسجاً بديعاً . وشاهدنا من المعروضات الحريرية المصنوعة في المعامل الوطنية ما لم تجز قلم البليغ عن وصفهِ وكذلك البسط والسجادات والمصنوعات الحريرية التي تصنع في معمل حركه الشاهاني وهي بديعة واعجبتنا الصور التي يصنعها معمل محمد النبراوي الماوردي . وكذلك مرشح شوقي الذي يبيع منهُ للمحل الصحي في حلوان وآلة اطفاء الحريق المسماة مانياكس وقد صنع حضرة ماريوس بك شميل آلة منها لعربة الجناب العالي . ونحن نمتحن الذكر ايضاً خصوصاً شمع الستيارين الابيض النقي الصلب الذي يصلح للبلاد الحارة وهو يصنع في معمل الكوكب المصري الذي انشئ في الحفرة منذ مدة غير طويلة وهو على اشكال مختلفة الى غير ذلك من المصانع والمصنوعات الكثيرة المقطم

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٩٠)

زراعة السلجم والخس والسمسم

يزرعون السلجم في مديريتي اسيوط وجرجا لاستخراج الزيت منهُ . فيبذرون "التقاوي" في الاراضي التي تروى مباشرةً بمياه الفيضان حالما تنصرف المياه عنها

ويقيم السلجم في الارض ثلاثة اشهر فيقلعونهُ ويدقونهُ على البيادر بالنبابيت

ويلزم نحو ٤ نملة لقلع جنى الفدان في يوم و ٦ نملة لدقه

ويذرّى السلجم وينظف ويقى كغيره من الحبوب باجرة ٣/٤ من الاردب لكل فدان

ويجنى من الفدان بين ٤ و ٦ ارادب . وسوق هذا النبات لا تصلح الاّ وقوداً . وكثيراً ما يتركها المزارعون على البيادر فيجمعها فقراء الفلاحين لانفسهم

الخسّ — في انحاء طيبة الجنوبية وفي ما وراء قنا يستبدلون زراعة السلجم بزراعة الخسّ . فيزرعونهُ مع الشعير والعدس في الاراضي التي تروى بالواحة او مع الذرة في الاراضي التي تسقى بالآلات . ففي الحالة الاولى يزرعون ½ اردب من " ثقاوي " الخس مع اردب من حبوب العدس او الشعير . وفي الحالة الثانية يزرعون منهُ ½ اردب في كل فدان ذرة وذلك قبل جنى الذرة بعشرين او خمسة وعشرين يوماً اي حين لا يبقى لزوم لإروائها

ولا يسقى الخسّ مطلقاً في مدة تفريخهِ . فيبقى ستة اشهر في الارض وحينما يدرك يقطعون رؤوسهُ ويعرّضونها للشمس على البيادر ستة ايام ثم يدقونها بالنبابيت

ويتراوح ريع الفدان من حبّ الخس بين اردبين وستة ارادب . وثمن الاردب منهُ في قنا ستة فرنكات

وتزهو زراعة الخس في ضواحي ادفو حيث يزرعون ¼ من الاردب في الفدان فيجنونهُ ٣٦ ضعفاً . ويباع الاردب منهُ هنالك بخمسة فرنكات

وكثيراً ما يستخدم الخس الاخضر علفاً للبهائم فيقلّ بذلك محصولهُ حبًّا

السمسم — يستخرج من السمسم شيرج صالح للاكل

وهو يزرع في جهات قنا من الوجه القبلي وفي جميع انحاء الوجه البحري

اما في جهات قنا فيحرثون الارض لزراعتهِ عدة مرات . وبعد ذلك يقسمون الارض الى مربعات على نحو ما يعمل في زراعة الذرة ويزرعون منهُ في كل فدان ¾ من الاردب . وتسقى الحقول " بالشادوف " ثلاثة اشهر . ويقوم الانفار الذين يزرعونهُ بنزع الاعشاب البريّة من بين الزرع وبحصدهِ وقت ادراكهِ . فيلزم خمسة نملة لجني محصول الفدان في يوم

وبعد حصدهِ بالمناجل يجمعونهُ حزماً يشدّونها بحبل يحيط بها . وعندما تيبس رؤوس السنابل التي تكون متجهة الى الاعلى يميلونها جانباً فتتناثر الحبوب من اوعيتها . واذا بقي شيء منها يعيدون الحزم الى سابق وضعها . وبعد ان تتعرّض للشمس يومين او ثلاثة يعودون فيكفأونها ويجمعون ما يتساقط منها من باقي الحبّ . فيستغلون من الفدان نحو ٦ ارادب

سمساً يباع الاردب منهُ بستة عشر الى تسعة عشر قرنكاً فضلاً عن السوق التي ينتفع بها وقوداً

اما في الوجه البحري فيختصون لزراعتها اقرب الاراضي لمياه السواقي ويزرعون في كل فدان ٢½ من الاردب بعد تفريق الارض جيداً بالماء عدة ايام . ويغطون « التقاوي » المزروعة بان يلحوا الارض مرة أخرى . ويسقونها من السواقي للمرة الاولى بعد زرعها بخمسة وعشرين يوماً ويعيدون سقيها كل عشرة ايام حتى يرتفع النيل فيقيمون على محيطها سداً صغيراً يشمونهُ حيث يريدون جرّ المياه الى الارض وقت لزومها . ويبقى السمسم في الارض خمسة اشهر اي لغاية اكتوبر . ويقتضي لجني الفدان عمل عشرة فعلة في يوم . وينقلون المحصول الى البيادر حيث يعرّضونهُ لحرارة الشمس شهراً يقلبونهُ في اثنائهِ يومياً ليبس جيداً فيدقونهُ بالنبابيت الى ان يقع الحب منهُ

ويختلف ريع الفدان من ٤ الى ٥ ارادب وثمن الاردب من ٢٢ الى ٢٦ قرنكاً

زراعة القرطم

تتسع الارض لزراعة القرطم بين القاهرة واسنا غيرانهُ لا يزرع في الفيوم ولا في الوجه البحري . ولزراعتهِ غايتان خاصتان احداهما الانتفاع بزهرهِ في الصباغة والاخرى استخراج الزيت من حبهِ

ويكثر زرعهُ في مديرية اسيوط حيث يزرعونهُ بذراً تارةً قبل حرث الارض وتارةً بعدهُ في اثلام يخطونها بالمحراث وفي هذه الحالة يزيد محصولهُ شيئاً يسيراً . اما فقراء الفلاحين فيزرعونهُ كالذرة في حفر يحفرونها بالاصابع . فتستغرق زراعة الفدان خمسة عشر يوماً يشتغل بها عامل واحد

ويبتدئ الازهار بعد ثلاثة اشهر من زرعهِ اي بين اواخر ٢٥ ابريل وفي بعض جهات طنطا يتأخر الى اوائل مايو . ويستخدم لكل فدان ١٢ الى ١٥ شخصاً من النساء والاولاد يجمعون في كل صباح ما ينتج من الزهر . وبعد ان يذبل الزهر في الظل يدقونهُ في هاون من خشب الى ان يصير بقوام العجين فيصنعون منهُ اقراصاً صغيرة يزن العشرة الى الخمسة عشر قرصاً منها جالة رطلاً

ويستخرج من زهر الفدان ثلاثة قناطير من هذه الاقراص التي تسمّى بالعصفر (او الزعفران) يباع القنطار منها بين ٣٠ و ٦٠ قرنكاً تبعاً لجودتها ورواجها او كسادها

وفي مديرية جرجا يعشرن مجون العصفر هذا يزجهِ بدقيق القرمز فيخلطون رطلاً

منهُ بكل مئة ارطال من المجون فتقل بذلك ثمنهُ . وافضل اقراص العصفر ما يعمل في طنطا و يتلوهُ اقراص اسيوط فالقاهرة

وخلافاً للمشاد في اسيوط والقاهرة يزرع القرطم في اتحاء طيبة وجرجا مع العدس ولذلك لا تزيد غلَّة الفدان هنالك عن اردب ونصف

واشتهرت اسيوط بكونها مركز تجارة هذا الصنف فيصدر من امرائها كميات وافرة الى القاهرة و بلاد العرب بطريق القصير

و بعد جني الزهر يتركون نبات القرطم في الارض الى ان ييبس فيقلعونهُ ويدقون الحب منهُ بالنبابيت فيجنون من الفدان الذي يكون قد قطف من زهره اردبين او ثلاثة ارادب حبًّا . ويبلغ ريع الفدان الذي لا يجنى زهرهُ كما هي الحال في البلاد بين قرشوط وامنا نحو ستة ارادب حبًّا يباع الاردب منهُ من ٦ الى ١٠ فرنكات

اما سوق القرطم فتستعمل وقوداً يختلف ثمنها باختلاف الاماكن. فما يباع منها بفرنكين في اسيوط يباع بثمانية فرنكات في القاهرة

الهمَّة والآفات الزراعية

يعجبنا من الفلاَّح المصري اجتهادهُ في خدمة زراعته فيثابر على الحرث والزرع والعزق والجني مثابرة من يعلم ان معيشتهُ متوقفة على زراعته ولكن اذا عرضت آفة لمزروعاته فاما انهُ لا يلتفت اليها او انهُ يجبن عن مقاومتها ويتركها تفتك بمزروعاته امام عينيهِ كأنهُ يسلِّم للاقدار ولا يعوِّل حينئذٍ على الاجتهاد والسعي كما عوَّل عليهما قبلاً

مررنا بالامس بزراعة كبيرة فيها القمح والفول والحلبة والبرسيم ورأينا فيها كلها من دلائل الاجتهاد ما يعود على المزارعين بالمدح ومن دلائل الاهمال ما يعود عليهم باللوم فالارض محروثة ومزروعة ومخدومة جيداً ولكن جوانب المراوي مثغورة حتى يتعذَّر المشي عليها وقد نما الهالوك (خانق الذئب) بين الفول فكاد يهلكهُ ولو جمعهُ اصحاب الزراعة عند اول ظهوره وحرقوهُ لنجوا من شره ولكنهم رأوهُ وتركوهُ كأنهم حسبوا انهُ آفة الية فلا تجوز مقاومتها . ورأينا بين القمح سنبلاً مضروباً بالارجوت وهو مادة فطرية سوداء كدقيق القمح لتلف السنابل التي تقع فيها وتلصق بغيرها من حبوب القمح تجعل لون دقيقها اسمر . وهو داء مؤذٍ والتخلص منهُ سهل جداً لانك قلما تجد في الفدان اكثر من عشرين سنبلة مصابة بهِ تجمع في عشر دقائق

ويجب ان يفهم الفلاحون ان الطاولة والجدوار مضرّان جدًّا وانهُ يجب ان لا يطرح على الارض حين قلعهما ولا يرميا في ساقي الماء بل يجب ان يحرقا حتى لتلف بزورها

ومما يدخل في هذا الباب قلة الاعتناء بجسور الترع فان الفلاّح يكسر جسر الترعة كلما روى منها ويتحمل اشد المشاق هو وبهائمهُ في المشي عليهِ كل ذلك يخلاً ببضعة غروش ثمن بريج من الخشب او الخزف وتراهُ اذا باع قطنهُ او قمحهُ للتاجر يتجاوز عمّا ثمنهُ ريالات او جنيهات

طفي الشراقي

طلب البعض من اعضاء الجمعيّة العمومية ان تأذن مصلحة الري لكل مزارع بالقدر الذي يحقُّ لهُ من الماء وهو مخيَّر في استعمالهِ لري القطن او لري الذرة . والظاهر ان الحكومة لم تعبأ بهذا الطلب حتى الآن او لم تَرَ وجهًا لاجابتهِ لان زراعة القطن يجب ان تقدَّم على كل زراعة اذ عليها يتوقف دفع الاموال الاميريَّة ولاسيما في الوجه البحري وعليها ايضًا يتوقف دفع ربا الديون المتراكمة على القطر وثمن الواردات كلها . ولكن ان صدق ذلك على الوجه البحري بنوع عام فهو لا يصدق على الوجه القبلي واذا فرضنا انهُ يصدق على الوجه البحري فرجال الري ليسوا ادرى بمصلحة الفلاّح من الفلاّح نفسهِ . ويمكن التوفيق بين طلب ارباب الزراعة وغرض رجال الري بتوزيع المياه بالقسط على زمام الاطيان وترك الخيار لارباب الزراعة لجزء ما شاؤوا . وقد شرعت مصلحة الري في توزيع المياه حسب الزمام بانها امرت كل صاحب طين ان يضع ماسورة في الترعة التي يروي منها تكفي لري اطيانهِ فقط . وبلغنا من باشمهندس احدى المديريات انهُ لقي مشقة شديدة في اول الامر في اقناع اصحاب الاطيان بوضع هذه المواسير حتى اضطرَّهم الى ذلك اضطرارًا والآن توزع المياه هناك بالقسط . فاذا تمَّ توزيع المياه كذلك في كل المديريات وشُدِّدت المراقبة عليها لم يعد مانع من التصريح باستعمال المياه لري القطن او لري الذرة حسبما يشاء صاحبها . فاذا رأى ان ري القطن اربح لهُ لم يتلف قطنهُ لري الذرة واذا رأى ان ري الذرة اربح لهُ لم يفضل القطن عليها

ولم نكن نحسب ان تأخير اسبوعين في طفي الشراقي يؤثر كثيرًا في زراعة الذرة حتى قابلنا امس جماعة كبيرة من الفلاحين انفسهم في جهات مختلفة وسألناهم على انفراد عن زراعة الذرة وسبب ضعفها في العام الماضي فاجمعوا كلهم على ان سبب ذلك تأخير طفي

الشراقي اسبوعين فانهُ اضرَّ بالمحصول والضرر كبير جدًّا فالفدان الذي يبلغ محصولهُ عشرة ارادب عدة لم يبلغ محصولهُ اكثر من خمسة . اما اراضي الجزائر والسواحل التي تروى من النيل بواسطة الآلات مباشرة وقد اطفئت باكرًا فقد جاءت زراعتها على ما يرام وبلغ محصول الفدان فيها من عشرة ارادب الى عشرين اردبًّا

ومتى تأخرت زراعة القمرة تأخرت زراعة القمح والفول بعدها وشمل التأخير المزروعات كلها ومن ذلك ضرر كبير في غالب الاحيان

فعلى اصحاب الاطيان من رجال الري ان يتدبروا ذلك ويسرعوا في تحديد المياه التي يمكنهم اعطاؤها للاطيان ويوزعوها عليها بالقسط ويتركوا لاصحابها الخيار في استعمالها على ما يرونهُ مناسبًا لهم

ولو كان اختيار منشئي الري ومهندسيهِ في يدنا لاشترطنا على كلٍّ منهم ان يكون صاحب اطيان وان يشتغل بيدهِ في الزراعة بضع سنوات حتى يتعلم بالعمل ما يلزم للمزروعات من الري واوقات ريها . اما التعلم في المدارس الهندسيَّة ولا سيما المدارس الانكليزيَّة فلا يكفي لحاجة القطر المصري على الاطلاق . لان العلم النظري لا يغني عن العلم العملي ولا سيما في مصلحة الري

زراعة الاثمار

رأينا قبيل كتابة هذه السطور فكهانيًّا يخرج سباطات (اقراطًا) من الموز من صندوق كبير فسألناهُ عن نوع الموز فقال بلدي ولما رأى اننا ارتبنا في صدقهِ اعترف ان الموز اميركي اي من جزائر اميركا . وهذا ما ظنناهُ لانهُ مثل موز جاميكا الذي كنا نأكلهُ في اوربا . وقد انتهينا منذ عهد طويل الى ان جانبًا كبيرًا من الموز الذي يباع الآن في عاصمة الديار المصرية وفي اكبر بلاد زراعي واصلح البلدان لزرع الموز يؤتى بهِ من جزائر الاوقيانوس الاتلنتيكي كما يؤتى بهِ الى لندن وباريس وهذا مما يقضي بالعجب فان القطر المصري من اصلح البلدان لزرع الموز وهو يزرع فيهِ الآن وزرعهُ رايحة جدًّا مثل زراعة كل انواع الفاكهة ولا سيما ما تنتجهُ البلاد الحارَّة والمعتدلة كالموز والبرتقال

قال المستر جونس احد تجار الانكليز وهو رئيس شركة السفن البخارية المعروفة بشركة دمبستر انهُ مرَّ بجزائر كناري مرةً فرأى فيها مستعمرة اسبانية اخذ الفقر من اهلها كل مأخذ لانهم كانوا يعيشون من زرع الصبير وتربية دود القرمز فلما صنع الكيماويون صبغ الانيلين

وبطل استعمال القرمز ساءت حالهم جدًّا فاسسوا في فاقة شديدة ولم يخطر لهم ببال ان يلتفتوا الى زراعة اخرى يعيشون بها ورأى المستر جونس خصب ارضهم فاشترى كل ما قبلوا ان يبيعوهُ منها ووعدهم بانهُ يشتري منهم كل الاثمار التي ينتجونها وسلفهم نقودًا يستعينون بها على زرع البساتين والحال ارتفع ثمن الارض حتى بلغ ثمن الفدان الف جنيه وبلغ دخل تلك الجزائر الصغيرة من الاثمار فقط مليون جنيه مع ان عدد سكانها لا يزيد على ٣٦٠ الف نفس

فاذا اتقن القطر المصري زراعة الاثمار التي تروج سوقها في اوربا كالموز والبرتقال والمشمش والخضر التي تروج فيها اذا أُرسلت اليها باكرًا كالطماطم والبطاطس فلا يستحيل عليهِ ان يرسل اليها كل سنة من هذه الحاصلات ما يبلغ ثمنهُ بضعة ملايين من الجنيهات هذا عن انهُ يستغني بما يجني منهُ عمَّا يرد اليهِ الآن من الخارج

وقد تقدَّم ان فدان الارض في جزائر كناري صار يساوي الف جنيه بعد ان يئس اصحابهُ من اكتساب شيء منهُ وكادوا يموتون جوعًا ولم يصلْ ثمنهُ كذلك الآ لان ريعهُ زاد كثيرًا فصار يستحق هذا الثمن. ولا شبهة ان تربة القطر المصري والقطر السوري لا تقلُّ جودة عن تربة جزائر كناري والسكان ليسوا اقل همة من الاسبانيين سكان جزائر كناري وان خيف من الآفات التي تعتري البساتين احيانًا كآفة الليمون فالحكومة الساهرة على مصلحة بلادها تجد سبيلاً للتخلص منها ولذلك يحق لنا ان ننتظر ان الاراضي التي تزرع اشجارًا مثمرة او تعد لزراعة الخضر يصير فدانها يساوي الف جنيه اي يصير ريع الفدان منها نحو مئة جنيه في السنة . وقد بلغنا ان لبعضهم احد عشر فدانًا قرب مينت غمر مزروعة جنائن وايجارها السنوي نحو الف جنيه . واخبرنا احد الاصدقاء انهُ زرع دوالي العنب في سكان قريب من دمنهور فلم يكد عنبها ينضج حتى اشتراهُ امالي البلاد المجاورة وبلغ متوسط ثمن الاقة غرشين وهو ثمن غالٍ جدًّا للعنب اذا بيع في ارضهِ واذا هبط الى ربعهِ بكثرة المزروع من العنب بقي منهُ ربح كبير جدًّا . واذا كثر حتى زاد عن المقطوعية صنع منهُ الزبيب والخروب على ذلك التين والمشمش والبرقوق فانهُ يمكن تقديدها كلها اذا زادت عن المقطوعية او تعذَّر تصديرها الى الخارج ومن هذا القبيل الليمون الحامض فانهُ يمكن تكثيف عصيرهِ او تجميدهُ واصدارهُ الى اوربا

ولا يخفى انهُ لا يتيسَّر الاكثار من زرع الجنائن دفعةً واحدةً بل لا بدَّ من السير في ذلك حسب مقطوعية البلد وحسب الطرق التي تسهل لنقل الاثمار ونحوها الى اوربا وتكثير سكك الحديد الواسعة او الضيقة في القطر المصري كلما حتى لا تبقى صعوبة في النقل بسرعة

باب التقريظ والانتقاد

تجارة مصر الخارجية[1]

اهدت الينا ادارة عموم الاحصاء تقريرها السنوي الاول عما دخل موانئ القطر المصري وخرج منها وسرّ بها من البضائع والركاب. ويظهر منهُ ان عدد السفن التجارية التي دخلت موانئ القطر المصري في العام الماضي لتفريغ شحنها وركابها فيها ٣٢٤٥ سفينة وقد نزلت من الشحن ٤٠٣٤٣٨٠ طنًا ومن الركاب ١٢٥٤٠٧. واكثرها دخل ميناء الاسكندرية يليهُ ميناء بورت سعيد فالسويس فالطور. والسفن البخارية التي دخلت ميناء الاسكندرية ٢١٢٧ والتي دخلت ميناء بورت سعيد ٨٧٩ والتي دخلت ميناء السويس ٢٤٣ والتي دخلت الطور ٩٥

والسفن التي خرجت من هذه الموانئ في خلال السنة الماضية ٣٣٦٢ اخذت معها من الشحن ١٥٦١١٢ طنًا ومن الركاب ١١٦١٩٨ واكثرها خرج من ميناء الاسكندرية فبورت سعيد فالسويس فالطور

اما السفن الشراعية التي دخلت موانئ القطر المصري فبلغ مجموعها ٢٠٤٤ وحمولها كلها ٢٢٣٦٦٨ طنًا والتي خرجت منها ٢٠٠١ محمولها ٢٢٨٩٧١ طنًا

والسفن البخارية والشراعية المذكورة آنفًا لا تشمل السفن التي مرّت ببورت سعيد ونزلت شحنًا او ركابًا بقصد مرورها الى بلاد اخرى (ترانست) ولا السفن التي مرّت ببورت سعيد ولم تنزل شحنًا ولا ركابًا

اما السفن التي مرّت بقنال السويس في العام الماضي فبلغ مجموعها ٣٧٢٧ سفينة وصافي محمولها ١٣٥٧١٧٩ طنًا وهي لامم مختلفة كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ صافي محمول سفن كل امة على حدتها

(1) Shipping, Cargo and Passenger traffic in the ports of Egypt and Suez Canal transit for 1908.

بريطانيا	٦٨٥٨٦٩٥	دغارك	٧٠٦٥٥
المانيا	١٩٢٧٦٣٤	اسبانيا	٦٤٨٨٤
فرنسا	٠٧١٤٧٢٩	نروج	٤٨٧٧٠
هولندا	٠٦٦٠٠٤٥	تركيا	٢٦٦٤٠
النمسا	٠٣١٤٧٩١	اليونان	٠٨٩٠٠
اليابان	٠٢٥٧٦٢٥	اميركا	٠١٢٥٢
روسيا	٠٢٠١٣١٥	امم اخرى	٣٧١٤٤
ايطاليا	٠١٦٤١٠٠	والمجموع	١١٣٥٧١٧٩

مساحة القطر المصري

THE CADASTRAL SURVEY OF EGYPT

لم يشأ الكبتن لينس ان يودع القطر المصري قبل ان يتحفهُ بكتاب مسهب عن اعمال المساحة التي عملت فيهِ من قديم الزمان الى الآن . وقد نشر الكتاب بالانكليزية لكنهُ ترجم الى العربيَّة وهو يطبع بها الآن وهذا امرٌ طالما تمنيناهُ كما رأينا كتابًا انكليزيًّا من كتب مصلحة المساحة

وقد جاء في هذا الكتاب ان كثيرين اعتنوا بمساحة اراضي القطر المصري في ازمنة مختلفة من عهد المصريين القدماء الى زمن سعيد باشا بين سنة ١٨٥٣ وسنة ١٨٥٩ ولكن المساحة الاخيرة التي شُرع فيها سنة ١٨٧٨ ولم تزل جارية الى الآن هي المساحة الوحيدة التي صنعت فيها خرائط للاراضي الممسوحة حوضًا حوضًا

والمساحات الحديثة حدثت في الاوقات التالية على ما في هذا الكتاب

الاولى بين سنة ١٨١٣ و ١٨٢٢ على يد المعلم غالي والميومازي الايطالي ورسمت فيها خريطة ٦٠ قرية في الشرقية

الثانية سنة ١٨٥٣ على يد بيجت باشا

الثالثة سنة ١٨٦١ وهي مساحة طوبوغرافية على يد محمد باشا الفلكي

الرابعة من سنة ١٨٧٨ الى ١٨٨٨ لجزء من البحيرة والغربيَّة والمنوفية والقليوبيَّة والفيوم

الخامسة سنة ١٨٩٣ وما بعدها لسائر جهات القطر

وفي الكتاب فوائد جمة تتعلق بمساحة الاراضي والمقاييس المستعملة فيها وقد جاء فيه ان مقاييس المصريين القدماء كان مبدأها القبضة وهي اربع اصابع ولونها الراحة وهي قبضة وربع والفتر وهو ثلاث قبضات والشبر وهو ثلاث قبضات ونصف قبضة والعضد وهي خمس قبضات والذراع القصيرة وهي ست قبضات والذراع الطويلة وهي سبع قبضات . وطول القبضة ٧٥ ملليمترًا . الا ان طول الذراع الطويلة لم يكن واحدًا دائمًا كما يظهر من مقاييس النيل الباقية الى الآن في جزيرة انس الوجود وجزيرة اصوان وهيكل ادفو وهيكل اسنا وهيكل لقصر . واطولها ٥٥ سنتمترًا واقصرها نحو ٥٤ سنتمترًا وكذا الذراع القصيرة فان اطولها ٥٢ سنتمترًا ونصف سنتمتر واقصرها ٥٠ سنتمترًا

اما القصبة فاختلف طولها فقد قال محمد باشا الفلكي انها كانت في عهد الرومانيين تساوي ٣ امتار و ٩٤ سنتمترًا وان القصبة الهاشمية تساوي ٦ اذرع و ١٨ قيراطًا بالذراع الهاشمية او ٣ امتار و ٨٨٤ ملليمترًا وقال المسيو جومار انهُ وُجدت قصبة في جامع بالجيزة زمن الحملة الفرنسوية طولها ٣ امتار و ٨٥ سنتمترًا . ثم جُعل طول القصبة ٣ امتار و ٦٤ سنتمترًا في زمن محمد علي . وفي ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٧ (١٨٦١ م) امر سعيد باشا ان يكون طول القصبة ٣ امتار و ٥٥ سنتمترًا وان تكون مساحة الفدان ٣٣٣ قصبة مربعة ولم تصبة وهو الجاري الى الآن ونعتبر مساحة الفدان الآن ٤٢٠٠ متر مربع و ٨٣٣ر٠ من المتر

وكان القدماء يجرون على طريقة تقريبية في مساحة الارض كما يفعل المساحون الآن اي انهم كانوا يحسبون الارض ذات الاربع الجوانب قائمة الزاوية ويضربون متوسط الضلعين المتقابلين في متوسط الضلعين الاخرين المتقابلين . واذا كانت الارض مثلثة كانوا يستخرجون مساحتها بضرب سالها في قاعدتها واخذ نصف الحاصل كأنها قائمة الزاوية واذا كانت كثيرة الاضلاع كانوا يقسمونها الى مثلثات ولا يخفى ان هذا العمل لا يصح الا اذا كان المثلث قائم الزاوية . وقد بلغت مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري على ما قالهُ المقريزي ٢٢٦٣٥٠٠ فدان اي اقل من نصف مساحة الارض الزراعية الآن

والكتاب كبير فيه اكثر من اربع مئة صفحة وكثير من الخرائط والرسوم البديعة

المدارس في القطر المصري

نشرت ادارة عموم الاحصاء كتابًا كثير الجداول والارقام قالت انهُ كشف احصاء التلامذة في المدارس العمومية والخصوصية في القطر المصري من سنة ١٩٠٧ الى ١٩٠٨

وقد اشرنا اليهِ في مقالة خاصة في هذا الجزء وهو مطبوع بالانكليزية والعربيَّة ايضاً ولا غناء عنهُ لمن يبحث في تقدم القطر المصري من حيث نشر العلوم والمعارف

التقرير الثالث

لدور البحث العلمي في الخرطوم

THIRD REPORT OF THE WELLCOME RESEARCH LABORATORIES AT THE GORDON MEMORIAL COLLEGE, KHARTOUM.

هذا التقرير او الكتاب اثر نفيس للبحث العلمي الذي قام بهِ علماء الانكليز في بلاد السودان هم والذين ساعدوهم في ذلك من رجال الحكومة وغيرهم

ومدار التقرير على الامراض والآفات التي تعتري الناس والحيوانات والنباتات في بلاد السودان وعلى كل ما يتعلَّق بالصحة العمومية . ففيهِ بحث مستفيض مثلاً في داء النوم ومرض المواشي . والاحوال الصحيَّة في الخرطوم والافاعي السامَّة والحشرات الضارة بالانسان والحيوانات التي تضرُّ بالمزروعات والاشجار . وطرق العلاج المستعملة عند الاهالي في بلاد السودان وكيمياء الصمغ العربي ونحو ذلك من المباحث التي تعود بالنفع على بلاد السودان

وفي هذا التقرير كثير من الرسوم الملوَّنة بالوان بديعة تمثل جراثيم الامراض بالوانها الطبيعيَّة او كما ترى بالميكرسكوب وتمثل الحشرات المختلفة عدا رسوم الاهالي التي يستدل منها على سحنتهم وبشرتهم وما اشبه . وقد اطلعنا على كثير من تقارير الحكومة الانكليزية والاميركية فلم نرَ فيها ما هو اجمل طبعاً واكثر اتقاناً منهُ

والتقرير بالانكليزيَّة كما لا يخفى ولو ترجم الى العربية ولو تلخيصاً لكانت منهُ فائدة كبيرة لقرائهِ من سكان هذا القطر والقطر السوداني علماً وعملاً . مثال ذلك انهُ يصف الافاعي السامَّة ويرسم رسومها فاذا ترجم هذا الفصل الى العربية تلخيصاً ورسمت فيهِ الرسوم ارشد القراء الى تمييز الافاعي السامَّة وتجنبها . وكذلك فصل الحشرات المضرة بالزراعة فانهُ كبير الفائدة ويؤخذ منهُ ان الجراد اضرَّ في بزراعة بذر سنة ١٩٠٦ بما يساوي ثلاثين الف جنيه . وربما لخصنا فصلاً او اكثر من فصول هذا التقرير في بعض الاجزاء التالية .

هذا وانا نسدي وافر الشكر للدكتور بانور الذي عني بجمع هذا التقرير ونشره

كتاب مطالع الاضواء

في مناهج الكتاب والشعراء

لم يمرّ بنا شهر جاءنا فيهِ من الكتب المفيدة ما جاءنا في هذا الشهر فكتاب الكبتن ليونس عن اعمال المساحة في القطر المصري وكتاب الدكتور بلفور عن المباحث العلمية في السودان وكتاب مطالع الاضواء هذا من الكتب العميمة الفائدة الدائمة النفع

وكتاب المطالع موضوع لتعليم الانشاء على اسلوب مطابق لحاجة هذا العصر فترى قواعد المعاني والبيان والبديع مفصلة فيهِ احسن تفصيل على طريقة السؤال والجواب · وقد قال مؤلفهُ في التمهيد الذي مهدهُ لهُ ان الآلات التي يحتاج اليها المنشئ غير القريحة المولدة هي اولاً معرفة المتداول من اللغة المأنوس استعمالهُ من فصيح الكلام. ثانياً معرفة علم العربية من صرف ونحو · ثالثاً معرفة تواريخ الامم والدول وتراجم العلماء والمشاهير . رابعاً معرفة وصف البلاد (الجغرافية) · خامساً حفظ الجيد من كلام الكتّاب وقصائد الشعراء · سادساً معرفة علم البيان · وهذا لو اضاف الى هذه الآلات او الاصول آلة اخرى وهي معرفة مبادىء العلوم الطبيعية والرياضية لانها هي التي تغني المنشئ بالمادة المعنوية ولعصمهُ عما يحطّ من مقام الانشاء مهما كان بليغاً · فمن انشأ مقامة تفوق مقامات الحريري فصاحةً وقال فيها ان الارض اكبر من الشمس ومن نظم شعراً يزري بشعر المتنبي وقال فيهِ ان التراب عنصر بسيط سقط انشاؤها ونظمها في عيون الخاصّة كما يسقط انشاء من يقول ان البرامكة لكبوا في عهد الامويين وان تهامة في وادي النيل ولذلك كان لاشعار تنيسن المقام الاسنى عند الانكليز لانهُ جارى كل الحقائق العلمية المعروفة في عصرهِ فاذا اشار الى شيء في الجيولوجيا او المثيرولوجيا او البيولوجيا او الكيمياء او الاقتصاد السياسي ذكرهُ على حقيقتهِ كما يذكرهُ ارباب هذه العلوم · وبلي قواعد المعاني والبيان والبديع خاتمة مسهبة كان الواجب على طابع الكتاب ان ينتشح بها صفحة جديدة لا ان يضع بداءتها في ذيل صفحة اخرى حتى لا يهتدي اليها الاّ من ينقش عنها · وفي هذه الخاتمة فصول كثيرة تتناول مواضيع مختلفة لكنها مرتبطة كلها بعلم الانشاء اي بتعليم الطالب كيف يصير قادراً على الانشاء البليغ وهاك فصلاً من هذه الفصول انموذجاً لها وهو فصل طبقات الكلام

س هل الكلام البليغ طبقةٌ واحدة ام هو طبقاتٌ

ج ان الكلام المستوفي شروط البلاغة ثلاث طبقات - طبقة ساذجة - وطبقة مزخرفة، وطبقة عالية

س ألا يختلط بعض هذه الطبقات ببعض

ج بلى فقد تجد في الكلام الساذج عبارات من المنمّق المزخرف ومن العالي

س بأيّ اعتبار يُقسَّم الكلام الى هذه الطبقات الثلاث

ج باعتبار المعنى واختلاف وجوهه وباعتبار سبك العبارة وصياغتها وباعتبار مناسبة التعبير للمادّة التي يدور عليها الكلام

س ما الكلام الساذج

ج ما كان مألوف النظم خالياً من تكلف التحسين صحيح المعنى مستقيم التركيب فهو كالمائدة النظيفة تُقدَّم عليها الاطعمة الطيبة بآنية ساذجة نقية . فأيّ من صحة يعتقد انهُ هيّن عليهِ ولكن متى كلف نفسهُ محاكاتهُ رأى يدهُ قاصرةً عنهُ ولذلك قيل لهُ السهل الممتنع

س أيّة المقامات لمقتضيهِ

ج يقتضيهِ مقام القَصَص والاساطير والحكايات والقصائد الزهريّة والمراثي والرسائل والخطب والمحاورات العامة والكتب العلميّة . وفي الجملة فهو مقتضى كل مقام لا يهمّ المنشئ فيهِ الاّ ايصال معناهُ الى فهم السامع من اقرب سبيل كالمناشير وصحف الاخبار التي تُوجَّه الى كل طبقات البشر

س ألا اذكر لي مثالاً لهذه الطبقة من الكلام البليغ

ج اليك قطعة من ترجمة الحريري

"هو ابو محمد القاسم بن عليّ بن محمد بن عثمان الحريري البصري الحرامي" كان احد أئمة عصره ورُزق الحظوة التامة في عمل المقامات وقد اشتملت على كثير من بلاغات العرب في لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومن عرفها حقّ معرفتها استدلّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادّته . وكان سبب وضعها ما حكاهُ والدهُ ابو القاسم عبدالله، قال كان ابي جالساً في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليهِ أُهبة السفر رثّ الحال فصيح الكلام حسن العبارة . فسألتهُ الجماعة من اين الشيخ قال من سروج . فاستخبروهُ عن كنيته فقال ابو زيد . فعمل أبي المقامة الثامنة والاربعين المعروفة بالحرامية وعزاها الى ابي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرُها الوزير شرف الدين ابا نصر انوشروان بن خالد ابن

محمد التاشافي وزير الامام المسترشد بالله فلما وقف عليها اعجبته فأشار على والدي ان يضم اليها غيرها فاتمها خمسين مقامة "

س ما الكلام المتّق المزخرف

ج هو ما لا ينفصل عن صورته حتى تذهب طلاوته

س اية المواضيع تطلب النمط المتّق المزخرف

ج هي المواضيع المحبوبة لذاتها والروايات الاقتراضية والشعرية وقصائد الوصف والاقاصيص الشعرية والقصائد الزهرية وخطب المحافل العلية والمدائح واذا اردت امثلة على ذلك فعليك بمثل كتاب قلائد العقيان وكتاب نفح الطيب وديوان القارض

س ما هو النمط العالي

ج هو ما حوى من المعنى والتخيل والشعور ما يملك القلب فهو برق القريحة يظهر ظهور الصاعقة ويخفي اختفاءها وهو مستقل عن الصورة اعني ان اختلاف العبارة لا يخرجه عن كونه عالياً * والنهج من هذا النمط

س بماذا يقوم علو المعنى

ج بالاسلوب الوجيز المؤثر السريع التسلط على القلب . مثال الاول قول موسى في سفر التكوين " قال الله ليكن النور فكان النور " وقول علي " لا تنصبن نفسك لحرب الله " وقول المسيح " انا نور العالم " وقوله ايضاً " السماء والارض تزولان وكلامي لا يزول " . وفي المزامير " رأيت الكافر ممتدّاً منبسطاً مثل شجرة فاخرة في ارضها ثم اجتزت فلم يكن والتمسته فلم يوجد " وفي الانجيل " لا تقدرون ان تعبدوا ربين الله والمال " . فليس في كل ما قيل في المال شرّاً ونظماً ما يصل في تمثيل سطوته الى ما تصل اليه آية الانجيل

س بماذا يقوم التخيّل

ج بشعور عالٍ عليه صورة بديعة كقول المزامير في تمثيل قدرة الله " من مجرّد صوته يهرب البحر وتتزلزل السماء " . ومنه قولك لمن يخيرك بين الحياة مع محاربة الوطن وبين الموت . اموت ولا احارب وطني

س بماذا يفترق العالي عن المتّق

ج بثلاثة امور (١) ان المتّق يذهب رونقه اذا ذهبت صورته فهو محسوب بالمحسّنات اللفظية والعالي ساذج وقد يكون خشناً ومبتذلاً وهو ينفك عن الصورة ويبقى على طبقته وهو عادة يملك النفس قوّةً ويبثّ فيها كما يبثّ لهيب الشجاعة والحمية

و (٣) ان المحق يجيء حتى في المواضيع الحقيرة واما الباطل فهو ابدًا كثير وغائص فيه لا حدَّ له

و (٣) ان المحق يدخل علينا الشعور الحار اللطيف الحسن

س أإلى اختلاف العصر راجع كل اختلاف في دياجة الانشاء ام الى اختلاف الكتبة

ج بعض ذلك راجع الى اختلاف الاشخاص والدليل ان المتعاصرين يختلفون في الرقة والجزالة كابي تمام والبحتري والمتنبي وجرير والفرزدق والاخطل

س أليس للعصر سطوة على الذوق

ج نعم فكل من جاء فيه يضطر ان يسنّ بسنّة اهله ويتّبع عاداتهم ولا يزال ذلك دأب اهله حتى يجيء فيهم رجل فيبدل من العادات والسنن في الكتابة وينهج مناهج لم يشجها اهل عصره فيجرهم وراءه ويقودهم الى مناهجه لطول باعه وعلو كعبه فقد يمرّ على الناس قرن واساليبهم في الكتابة بالية فكم انتقض على الكتّاب من الاعوام وهم يتمدّدون المحسّنات اللفظية في الرسائل والخطب كما كان الامر لعهد ابي حليم بطريرك السلطرة وعبد الرحيم بن نباتة الفارقيين. وقد يهجر تعمد المحسّنات اللفظية في ذلك ويكره استعماله قطعة من الدهر ثم ينبغ كاتب تميل نفسهُ الى تلك المحسنات فيتراجع استعمالها كما يقع ذلك في المهجور من الالفاظ والازياء

وبلي هذه الخلاصة نبذة مسهبة في الشعر وابوابه وموازينه وما يطرأ عليها وقد وضع هذا الكتاب حضرة العالم العامل الشيخ سعيد الخوري الشرتوني صاحب القاموس المشهور المعروف باقرب الموارد

تحفة الانام

في مختصر تاريخ الاسلام

اهديت الينا نسخة من هذا الكتاب والظاهر انهُ طبع حديثًا لانهُ يذكر بين مآثر السلطان عبد الحميد السكة الحيدية الحجازية ومع ذلك ترى في الصفحة ٩٦ منهُ هذا الكلام " وقُتل ملك الاندلس قتلهُ طارق وانهزم الكفار " اي سيجيو اسبانيا . فهل يليق نشر كلام مثل هذا في عصر تريد الامم العثمانية ان تتصاف فيه وتتضافر

ديوان عبد الرحيم افندي شكري

لما وقع نظرنا على هذا الديوان ظننا انهُ ككثير من دواوين الشعراء كلام موزون ومعانٍ مبتذلة اخلق الجديدان جدتها فلم نكد نقرأ صفحة او صفحتين منهُ حتى رأيناهُ شعرًا بكل معاني الشعر — صورًا خيالية جسمتها بصيرة الناظم حتى تكاد تراها وتلمسها كقولهِ

عمي الدجى عن مطلع الفجر في ليلة كسريرة الدهر
ولع البكاء بناظريَّ كما ولع الندى ببدائع الزهر
والروض ممتنع الرقاد وقد نُثرت عليهِ مواقع القطر
والليل مشقوق الجيوب وقد باح السحاب بظلمة البدر
والطرف بالانشاء متهم والقلب مؤتمن على السرّ
واكاد ان لا استقر جوى فكأنما خلس الدجى صبري
لا تلحَ مشتاقًا على شجن ان الشباب مطية العذر
والسعي رزق والهوى امل والهجر يأكل جدة العمر
والصفو قد يفضي الى كدر واليسر قد يفضي الى عسر

ومن بديع قولهِ في الحث على الجود للجامعة

فيا حسن ذكر الذين تمسكوا لباب التقى واستمسكوا بالتكرم
ايدعى غنيُّ القوم سيد قومهِ اذا غاب عنهُ فضل فعل معظم
اذا لم يكن طبع لجودوا تطبعًا فرب جميل جاء من متندم
وانتم عماد للبلاد مشيد فلا تتركوها كالبناء المهدم
ألم يكفكم فخرًا وعزًا وسؤددًا رجاء محلّي بالثناء المفخم

وقولهِ في مخاطبة الاقباط

اذا الاواصر لم تجعل لنا سببًا فحرمة الود فيما بيننا سببُ
اذا هفوتم رميناكم بمثلها فان هفونا فلا يلككم الغضب
يدان ان تقطعونا تقطعوا يدكم كذاك نحن لنا في عزكم ارب
اني على شغفي بالامن يطربني اني اليكم اذا فاخرت انتسب
كانت لكم دولة غراء ثابتة في مرتقى الرتبتي شأوها الشهب

والديوان صغير ولكنهُ حافل بمثل هذه الغرر

كتاب الاشتقاق والتعريب

الّف هذا الكتاب حضرة العالم الفاضل الاستاذ عبد القادر المغربي احد محرري جريدة المؤيد وقال فيه ما يقولهُ كل من عانى التأليف والتعريب والتحرير من ابناء هذا العصر بل من ابناء كل العصور القريبة والبعيدة وهو ان اللغة حيٌّ نامٍ وقوامها يكون من الداخل بالمجاز والنحت والاشتقاق ومن الخارج بالتعريب فتستعمل الكلمات لمعانٍ لم توضع لها مجازًا كما تستعمل الصرف والبيان للعلمين المعروفين وتنحت كلمة من كلمتين او اكثر كما نحتت الحمدلة من الحمد لله ونشتق كلمة من اخرى كما اشتقت المزولة من الزوال . اما التعريب من اللغات فاشلتهُ في العربيَّة تفوق الحصر . قال المؤلف في فاتحة كتابهِ

" وبعد — فان أمتنا العربية في اشد الحاجة الى نشر العلوم بين ظهراني ابنائها . ولن يكون تعليم تلك العلوم وافيًا بالحاجة مالم يكن بلغة المتعلمين التي نشأوا على التفاهم بها . ولن تصلح اللغة العربية لاداء هذه الوظيفة مالم تُنمَّ وتتسع دائرتها وتتوفر فيها الكلمات المحتاج اليها في تلقين تلك العلوم والفنون . ولتوفر تلك الكلمات والاستكثار منها طريقان "الاشتقاق" و" التعريب " أعني جعل الكلمة الاعجمية عربية . وقد نرى الغريب عن اللغة البعيد عن معرفة اسرارها يرميها بضيق المعاني وقلة الكلمات المحتاج اليها في المطالب العصرية المختلفة . وان اللغة غير صالحة بالجملة للتعليم والتعلم . واذا عذرنا هؤلاء فلا يحسن ان نعذر ابناء اللغة انفسهم الذين اعرضوا عن الانتفاع بالاشتقاق والتعريب . بل ربما اقاموا العوائق في سبيل ذلك الانتفاع . وليتني كنت ادري ما هو حدُّ التعريب عند اولئك الفضلاء ؟ وما هي طريقتهُ وشروطهُ في رأيهم ؟ وكيف اذا سمعوا بكلمة غريبة عن اللغة عربت وشاعت بين اهلها وطابت لها نفوسهم ومرنت عليها ألسنتهم — حوقلوا وسبحلوا وعدوا دخولها سبة تراكيب اللغة كدخول عيكروب الامراض الخبيثة في تجاليد الانسان العزيز عليهم : فهم يعملون على اخراجهِ والتخلص من شرهِ بأية وسيلة كانت . وتراهم من جهة ثانية يرفعون اصواتهم بالانتصار للغة والاعجاب بخصائصها ومزاياها والاحتجاج على اولئك الذين يرمونها بالاملاق وضيق النطاق

واني لا أرى انتصارهم واحتجاجهم صحيحين . ما لم يعملوا على احياء هاتين القوتين " الاشتقاق " و" التعريب " وتمهيد السبل للانتفاع بهما

وقد اثبتُّ في كتابي هذا ان التعريب قياسي او هو طبيعي في اللغة لا تتيسر مقاومتهُ وان المعرَّب عربي . فاستعمالهُ في الكلام الفصيح لا يحط من قدر فصاحتهِ . ولا يخرج البليغ

عن بلاغتهِ . فان اصبت في رأيي فتلك المنى . وان كانت الاخرى فليست بالاولى "

وقد اقام المؤلف الادلة الكثيرة العقلية والنقلية على لزوم التعريب وعلى ان العرب جروا عليهِ من اول عهدهم . ولعجبنا قولهُ ان اسم المصحف الذي سمي بهِ القرآن نقلهُ معرَّب عن اللغة الحبشيَّة وهو مشتق من صحف وسماها بالحبشيَّة كتب وكلة قاموس التي سمَّى بها الفيروزابادي معجمهُ الشهير في متن اللغة العربيَّة غير عربيَّة . وقولهُ ان القول المعتمد عند جهابذة اللغة وصارف كلها كسيبويه واضرابهِ ان مدار التعريب على الاستعمال فاذا استعملت الكلة الاعجمية عندنا اصبحت معربة

اما قولهُ بتفسير " كلة الكرتير بالقاموس كما عرضت في كلامهم " فتساهل لا داعي لهُ لان كلة سكرتير اشيع من كلة قاموس . ولقد قرأنا مئات من الكتب العربيَّة ولا نتذكر اننا رأينا فيها كلة قاموس بمعنى كاتب ولو مرةً واحدة . ولا ندري لماذا يأنف الكتَّاب من كلة كاتب في ترجمة سكرتير فان معنى سكرتير الافرنجية كاتب ولا مدخل فيها للسر وكتابتهِ الآن بل هذا معنى قديم مهجور . ووظيفة الكاتب كانت اشرف الوظائف في دول العرب وقد تقلَّدها كبار الوزراء في عهد الخلفاء والسلاطين

تاج العروس الهادي لتهذيب النفوس

هذا الكتاب كما يدلُّ عليهِ اسمهُ نصائح وحكم في تهذيب النفس وضعهُ الامام الصوفي تاج الدين بن عطاء الله السكندري الشوفي سنة ٧٠٢ للهجرة . اي منذ اكثر من ستمئة سنة وهو مثل غيرهِ من كتب الصوفية بل من كتب حكماء المشرق احكام مبني اكثرها على عقائد دينية ونفسية كقولهِ " ان الشياطين تغلُّ في شهر رمضان " وكقولهِ " الاحمق من مات ولدهُ وجعل يبكي عليهِ ولا يبكي على ما فاتهُ من الله عزَّ وجلَّ فكأنهُ يقول بلسان حالهِ انا ابكي على ما كان يشغلني عن ربي بل كان ينبغي لهُ الفرح بذلك ويقبل على مولاهُ لانهُ اخذ ما كان يشغلهُ عنهُ " . وكقولهِ " انما عصي الله من لم يعرف عقابهُ وانما ترك طاعة الله من لم يعرف ثوابهُ فلو اطلعوا على عذاب الدار لماتوا غيظ ولو اطلعوا على ما اعدَّ الله لاهل الجنة لماتوا فرحة عين " . وكقولهِ " الشك في الرزق شك في الرزق وما سرق السارق وما غصب الغاصب الا رزقهُ . ما دمت حيًّا لا ينقص من رزقك شيئًا "

وقد عني بنشر هذا الكتاب حضرة الفاضل صالح بك حمدي حماد على جاري عادتهِ في نشر الكتب المفيدة وقسمهُ الى مطالب طبع مضمونها على هامش صفحاتهِ

دواني القطوف

في تاريخ بني المعلوف

تأليف الكاتب الفاضل الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

اذا اردت مثالاً لعلو الهمّة ومضاء العزيمة وطلبت الوقوف على اخبار سورية وسكانها من اول عهدها الى الآن فعليك بهذا الكتاب فقد جمع فيهِ مؤلفهُ ما ملأ اكثر من سبع مئة صفحة بقطع كبير وحرف دقيق من الاخبار والتراجم

ومدار الكتاب على تاريخ بني المعلوف ويقول المؤلف ان الخلفاء الراشدين تركوا الخراج للغساسنة فلقبوا بني المعيوف اي المعفين من الخراج ولما جاء الخلفاء العباسيون نزعوا ذلك الامتياز منهم فغير سكان دامة لقبهم المعيوف بالمعلوف لقرب الصيغة . وجدنا لو ذكر سنداً تاريخيًّا لهذه التسمية كما ذكر لاكثر ما اوردهُ في كتابهِ . ثم اورد قصة عن فتاة من بني المعلوف اسمها لطيفة كانت تسير سنة ١٥٣٠ مع خوادمها فلقيها بعض الخصوم واختطفوا الطعام من خوادمها فلما وصلت الى قومها انشدتهم ابيات ليلى بنت لكيز الوائلية التي تقول فيها

ليت للبراق عينًا فترى ما الاقي من بلاء وعنا

الى ان قالت

يا بني (المعلوف) سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكرى

فما انهت كلامها هذا حتى سالت عيناها بالدموع واجتمع حولها اخوتها وبنو اعمامها واتباعهم فقصّت عليهم احدى خوادمها ما جرى لها فحرك ذلك ساكن غيظهم ... وعقدوا اجتماعاً اقروا فيهِ على انهم بعد جمعهم زورعهم ودياستها وبيعها مع مقتنياتهم يتركون بخصوصهم ويتركون بلادهم قاصدين لبنان . وقال في الحاشية انهُ اتفق على هذه الرواية جميع بني المعلوف على اختلاف مواطنهم ولكنهُ لم يذكر لها سنداً تاريخيًّا قديماً

والكتاب حافل بالفوائد التاريخية وترجمات اعلام السوريين . ولقد اذهلنا صبر المؤلف على جمعهِ وتبويبهِ . وسواء صحت نسبة بني المعلوف الى الغساسنة او لم تصح فلا شبهة في انهُ قام منهم رجال يفتخر بهم مثل مؤلف هذا الكتاب وكثيرين من الادباء والفضلاء الذين ترجمهم فيهِ فلهُ الشكر على ما خدم بهِ فن التاريخ وما بذلهُ من العناية في جمع انساب اللبنانيين

الحرية والمساواة والمبعوثان

رسالة وضعها حضرة العالم الفاضل عبدالله افندي العلي بيّن فيها ان الشورى والحرية والمساواة من تعاليم القرآن لقوله وامرهم شورى بينهم وشاورهم في الامر ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وقوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل عملاً صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون وقوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . ومن سيرة الخلفاء كقول الامام عمر لعمرو ابن العاص والي مصر مربنا منذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارًا . وفي ما تقدم نصوص صريحة على وجوب الشورى والمساواة والحرية

باب المسائل

اعتنا في هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يبيّن مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته وامضاءه واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند انتاج سؤاله فليذكر رقم بيته لنا ويعتبر حروفًا تخرج مكان اسمه (٣) اذا لم يسمع السائل بعد شهرين من ورود جوابنا فليكرّر مسائله فان لم تدرجه بعد شهر آخر تكون قد اهملناه لسبب كان

(١) النوم المغنطيسي

امنا . الياس افندي جرجس . ماهي منافع التنويم المغنطيسي ومضارهُ

ج . يفيد التنويم المغنطيسي في الامراض الكائنة عمومًا اي الناتجة عن الوهم فقد ينوم الانسان انهُ مصاب بخفقان في قلبهِ او قرحة في معدتهِ او سل في رئتيهِ وليس بهِ خفقان ولا قرحة ولا سل فاذا نوّم النوم المغنطيسي وأنبئ انهُ شفي من الداء فالغالب انهُ يشفى منهُ اي لا يعود يشعر انهُ مصاب بهِ

ويفيد ايضًا في منع الحس لعمل بعض العمليات الجراحية لان النائم النوم المغنطيسي يفقد الحس او الشعور بالالم . فقد نام شاب سوداني امامنا وغرزت ابرة في رجلهِ أدخلت من جهة واخرجت من اخرى ولم يحرّك رجلهُ ولما أوقظ نُبّه الى رجلهِ فقال انهُ يشعر بشيء من الالم ولكنهُ لا يعلم سببهُ

ويفيد في بعض الآفات العصبية فيقال

ان الالم العصبي المعروف بالنفرجيا يزول بالتنويم وكذا الم عرق النسا . اما ضرره فيقوم بانهاك القوى العصبية . فان للقوة العصبية مقداراً محدوداً فاذا صرف الكثير منها وقت التنويم ضعفت الاعصاب بعد الاستيقاظ منهُ واذا تكرَّر ذلك صار فعلهُ في الانسان مثل فعل المنبهات او المخدرات القوية ولذلك منعت حكومات اوربا استعمالهُ بعد الوقوف على رأي المشاهير من اطبائها . راجعوا مقالة التنويم وفوائدهُ الطبيَّة في المجلد الثاني والثلاثين من المقتطف صفحة ٥٣٥

(٣) تعليم التنويم

ومنهُ . هل يوجد في مصر من يعلّم التنويم المغنطيسي

ج . فيها اطباء يستعملون التنويم احياناً فاذا رأيتم واحداً منهم ينوّم احداً امكنكم ان تشاهدوهُ بسهولة لان ليس في الامر صناعة مخصوصة واذا طالعتم المقالة المشار اليها آنفاً رأيتم فيها الاساليب المستعملة في التنويم

(٤) استطاعة التنوم

ومنهُ . هل كل انسان يستطيع ان يتنوّم وينوّم

ج . ان المعرَّضين لان يناموا النوم المغنطيسي قلال ويقال انهم لا يزيدون على خمس الناس واذا كان الانسان معرَّضاً لان ينام النوم المغنطيسي فلا يتعذَّر على اي كان غالباً ان ينوّمهُ اذا تمرَّن على استعمال الحركات اللازمة واقنع من يراد تنويمهُ انهُ قادر على تنويمهِ

(٥) التعليم بالمراسلة

ومنهُ . بلغني انهُ توجد مدارس باميركا وانكلترا تعلّم طالبي العلم بواسطة ارسال الدروس بالبوسطة فهل ذلك صحيح وهل يمكن تعليمهُ في مدة قصيرة وهل لكم ان تخبرونا بعنوان مدرسة منها

ج . نعم يوجد اناس يعلمون بالمراسلة . ولا يخفى ان من الناس مَن يطلب العلم برغبة فيتعلم ولو لم يدخل مدرسة وهذا يتعلم بالمراسلة لانهُ يستفيد من كل شيء . ومنهم مَن لا رغبة لهُ في العلم فيدخل المدارس ويقيم فيها السنين ويقوم بما يطلب منهُ ولكنهُ ينسى ما تعلمهُ فيها او لا يحفظ منهُ الاَّ القليل وهذا لا يتعلم بالمراسلة . وكل الذين عانوا التعليم يعلمون انهُ يكون في الفرقة عشرون تلميذاً فينبغ منهم ثلاثة او اربعة ويحصلون من غير ان يتعب الاستاذ في تعليمهم وهؤلاء يتعلمون بالمراسلة كما يتعلمون في المدارس او في بيوتهم والباقون يبذل الاستاذ جهدهُ في تعليمهم وتمرينهم فلا يتعلمون الاَّ قليلاً وهؤلاء لا يستفيدون من المراسلة ابداً او لا يستفيدون الاَّ قليلاً جداً هذا اذا صبروا عليها ولم ينقطعوا عنها حالاً

وهاكم عنوان مدرسة تعلم بالمراسلة

International Correspondence School Scranton Pen. U. S. America.

(٥) مخترع الساعات

اميوط . امين افندي لوقا . من هو مخترع الساعات وفي اي سنة كان ذلك

ج . الساعات مختلفة الانواع فاقدمها المزولة او الساعة الشمسيَّة التي يقاس الوقت فيها بظل الشمس وهي قديمة اشير اليها في عهد حزقيا ملك يهوذا واول من وصفها بيروسس المؤرخ الكلداني الذي كان قبل المسيح بنحو ٥٤٠ سنة ولا يعلم من استنبطها . وقد اتى بها الكسندر الفيلسوف اليوناني من بلاد الكلدان الى بلاد اليونان بعد زمن بيروسس بمئتي سنة . والظاهر مما نقلناهُ من تاريخ ابن اياس عن السلطان سليم في هذا الجزء ان الاعتماد كان عليها في قياس الوقت في ذلك الزمن . وتخلوها الساعة المائية ويقال انهُ اخترعها غلام من سكان الاسكندريَّة اسمهُ كتسيبيوس سنة ٢٤٥ قبل المسيح اي في اوائل حكم البطالسة ولكن يرجح الآن انها اقدم من ذلك كثيرًا وانها استعملت قبل عهد التاريخ وان كتسيبيوس انما وضع فيها آلة لقياس الساعة من كل اليوم على مدار السنة . والظاهر ان الساعة التي اهداها هرون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسا كانت ساعة مائية . واستنبط الاسكندريون الساعة الرملية بعد استنباط الساعة المائية لانهم رأوا ان تفرُّغ الماء من الساعة المائية لا يكون واحدًا في كل الازمنة

والساعة ذات الثقل مخترعها مجهول قيل انهُ رجل اسمهُ بشيوس اخترعها سنة ٥١٠ للمسيح وقيل غيرهُ والمؤكد ان الراهب جربرت الذي صار بابا باسم سلفستر الثاني صنع ساعة لمغدبرج سنة ٩٩٦ ولم يتقن عمل هذه الساعات حتى القرن الثالث عشر فانهُ يقال ان الملك الكامل الايوبي اهدى الى الامبراطور فردرك الثاني ساعة متقنة سنة ١٢٣٢ وهي شبه كرة سموية فيها الشمس والقمر والسيارات تتحرك في مداراتها بالثقال ودولاب وتدلُّ على ساعات النهار والليل بالتدقيق . وانقنت الساعات بعد ذلك ولكنها بقيت ضخمة الى ان استنبط الرقاص ويقول البعض ان مستنبطهُ عربي ويقول غيرهم انهُ افرنجي والاكثرون على انهُ غليليو الايطالي

اما الساعات الصغيرة التي توضع في الجيب فالظاهر ان اول من صنعها رجل اسمهُ بطرس هيلي وذلك سنة ١٤٩٠

(٦) الشعر العارية

ومنهُ . هل الشعر العارية الذي يضعهُ بعض النساء على رؤوسهن طبيعي او صناعي وكذلك الشعر الابيض الذي تصنع منهُ المشات

ج . كلهُ طبيعي الاول شعر نساء والثاني شعر اذناب الخيل

(٧) الراي انسديي

سان بدرو ماكورس . جمهورية دومينكو

الخواجه انطونيوس الدبيي : من المعلوم ان اول من قال بالرأي السديمي هو العالم الفلكي لابلاس ولكني بينما كنت اطالع في كتاب "الكون كارادة ووجدان" للفيلسوف الالماني شوبنهور وجدتهُ ينتقد انتقاداً مرًّا على بعض العلماء الذين يأخذون بعض الآراء عن غيرهم ويدعون انها لهم ثم قال ان ذلك يذكرنا بما جرى بين الفيلسوف كنت ولابلاس اذ الاول هو اول من قال بالرأي السديمي سنة ١٧٦٠ في كتابهِ التاريخ الطبيعي والنواميس السموية ثم محصهُ وزاد عليهِ شرحاً سنة ١٧٦١ ذاكراً في آخرهِ ان العالم لمبرا خذ عنهُ هذا الرأي وترجمهُ الى اللغة الافرنسية بدون ان يذكرهُ (اي يذكر كنت) تحت عنوان

" Lettres cosmologiques sur la Constitution de l' Univers "

الى ان قال ومن الحقق ان لابلاس نظرًا الى معرفتهِ الواسعة في علم الهيئة اخذ رأي كنت هذا ووضعهُ في قالب يفهمهُ الكبير والصغير وكانت نتيجة ذلك ظهور كتابهِ المعروف مدبجاً في تفصيل ذلك الرأي الذي خلَّد اسمهُ مع ان هذا التخليد كان يجب اعطاءه نصفهِ لكنت ان لم نقل كلهُ . فتعجبت من ذلك واتيت اسألكم عن منزلة كلام شوبنهور من الصحة

ج . ان شوبنهور شاعر وفي كلامهِ شيء من الصحة وشيء من التزويق فان كنت قال بالرأي السديمي قبل لابلاس ولكن لابلاس اقام الادلة الرياضية على صحة هذا الرأي وعلى تطبيقهِ على الاجرام السموية وحركاتها . ويحتمل انهُ عرف بقول كنت كما يحتمل انهُ لم يعرف بهِ بل انتبه الى هذا الامر من تلقاء نفسهِ كما انتبه اليهِ كنت . وهب انهُ انتبه اليهِ مما قالهُ كنت فذلك لا يمنع نسبة الرأي اليهِ لانهُ هو الذي اقام الادلة على صحتهِ وبين كيفية تولد الاجرام السموية من السديم . وحتى الآن لم تخلُ كل العقبات التي تعترض هذا الرأي حلاً مقنعاً

(٨) لزوم النوم

مصر . الخواجه حزقيال هارون متاون قرأت في احدى الجرائد ان النوم ليس ضروريًّا للانسان بل هو عادة يمكن ازالتها بالتمرن على عدم النوم . فهل العلم يعزز هذا القول

ج . ان بعض الناس ينام ساعات قليلة ثلاث ساعات او اربع ساعات وتكتفي اجسامهم بها فلا يستحيل على غيرهم ان يقتدي بهم . ولا بدَّ لدقائق الجسم من ان تنقطع عن العمل مدةً لتتنظف من الفضول وتذخر القوة اللازمة لها وقت العمل ولا يستحيل ان يُعوَّد بعضها على الراحة وذخر القوة وقتاً يكون البعض الآخر عاملاً فان القلب مثلاً يعمل دواماً نهاراً وليلاً مدة الحياة وبعض دقائقهِ يستريح وقتاً يعمل البعض الآخر فهل

يتيسر تعويد كل اعضاء الجسم هذه العادة وهل يتم ذلك في سنة او في قرن بعد ان جرت كل طرائف الناس والحيوانات على النوم قرونًا لا يحصى عددها حتى رسخ ذلك فيها ؟ هذه مسألة أخرى ونرجح ان من يحاول الانقطاع عن النوم يصيبهُ ما اصاب الفرس الذي عُوِّد الانقطاع عن الاكل فلما تعودهُ مات

(٩) من الملام

يافا . اخواجه انيس فياض ما قولكم في المرأة الزانية هل اللوم عليها او على الهيئة الاجتماعية وماذا قصد فكتور هيغو بقولهِ لا تلم المرأة الساقطة تحت مهاوي عارها انك لا تدري تحت اي حمل سقطت من احمال الدنيا واثقالها. وهل يصدق ذلك على بعض النساء المترفهات اللواتي يجبن فعل المنكر

ج . الغالب ان اللوم على الذي اغراها اولاً ثم على الذين تلوهُ لان الانثى مطاوعة غير طالبة في الغالب . ولو كان سن الشرائع في يد النساء لا في يد الرجال او لو انصف الرجال الذين يشرعون النساء لوقع العقاب على الرجل لا على المرأة وهذا هو رأي جمهور الباحثين في هذا الموضوع . اما المرأة التي تفعل المنكر من تلقاء نفسها فيجب ان يقع العقاب عليها .

(١٠) مصدر الآداب

ومنهُ . ما هو مصدر الآداب

ج . المذهب المتغلب الآن ان مصدر الآداب إحكام الاعمال حتى يتمكن كل فرد من حفظ حياتهِ وتربية نسلهِ من غير ان يضر بسواهُ . والانسان الذي بلغ هذه الغاية من إحكام اعمالهِ يساعد غيرهُ على احكام عملهِ فيسهل احكام الاعمال على الاثنين بالتعاون وهذا هو الصلاح الذي تتوخاهُ الشرائع الادبية وهو علمي لا فلسفي لكن الفلسفة اخذت مأخذ العلم الطبيعي الآن وصار الفلاسفة يجرون مجرى العلماء الطبيعيين في مباحثهم واحكامهم . والسنن الادبية المبنية على الاصول العلمية اوسع نطاقًا من السنن الادبية الفلسفية لانها تتناول اعمالاً لا تتناولها السنن الفلسفية حسب مفهومها القديم فالذي يتعرض لمكروبات الامراض او يلبس ثيابًا لا تدفئهُ حكمهُ في السنة الادبية العلمية حكم من يدمن المنكرات او يرتكب المنكرات ولكننا لم نسمع احدًا من اهل السنن الادبية الفلسفية ينذر المتعرضين لميكروبات المرضية بالعقاب او المتعرضين للبرد بالعذاب

(١١) العصر الجليدي

بيت لحم الخواجه زخريا عيسى ابو خليله المصور . ما هو السبب في حدوث العصر الجليدي في الازمنة الغابرة

ج . ظن السر تشارلس ليل ان سبب ذلك ظهور اراضٍ واسعة عالية قرب القطب الشمالي وظن غيرهُ من العلماء ان العصر الجليدي اسبابًا فلكية اهمها اختلاف الهيلجية

الارض فان هذه الاهيلية كانت في اول القرن التاسع عشر ١٦٨٠ و. وكانت قبل ذلك بمئتي الف سنة ٥٦٧٠ و. وهذا زاد ايام الشتاء نحو ٢٩ يوماً حينئذٍ فزاد البرد والجليد وحدث العصر الجليدي

(١٢) بحيرة لوط

ومنهُ . يقال ان قاع بحيرة لوط آخذ في الارتفاع فما سبب ذلك وهل هو بفعل بركاني وهل توجد براكين في سورية

ج . لا نتذكر الآن اننا قرأنا لاحد بحثاً مدققاً اثبت منهُ ان قاع تلك البحيرة آخذ في الارتفاع وعيّن مقدار ذلك الارتفاع . ولا يبعد ان يكون الامر كذلك ويحتمل ان يكون الارتفاع قليلاً وهو من الرواسب التي يحملها اليها نهر الاردن ويحتمل ان يكون كثيراً وسببهُ ارتفاع قاع البحيرة بفعل بركاني . وقد كانت البراكين كثيرة في كل البلاد السورية في غابر الزمن ولكن لم يثر فيها بركان في عصر التاريخ . نعم ان الزلزلة التي حدثت سنة ١٥٤٦ جففت ماء الاردن اي رفعت قاعهُ في بعض الاماكن بفعل بركاني وابقتهُ كذلك يومين ولكن لم يذكر ان الحمم خرجت من الارض حينئذٍ كما تخرج من البراكين عادة

(١٣) جنس الجنين

ومنهُ . هل يمكن ان يعرف كون الجنين ذكراً او انثى وهو في بطن الحامل

ج . كلا

باب الاخبار العلمية

القطب الجنوبي

ان البعثة العلمية التي قصدت القطب الجنوبي برئاسة شاكلتن كادت تبلغهُ وورد تلغراف من شركة روتر في ٢٣ مارس يقال فيهِ

عادت بعثة شاكلتن التي كانت قد غادرت زيلاندا الجديدة في اول يناير سنة ١٩٠٨ (قاعدة القطب الجنوبي) وجميع رجالها بخير . وقد ارسل اللفتنت شاكلتن تلغرافاً الى الديلي ميل قال فيهِ ان الفئة الرئيسة من رجال الرسالة قطعت ١٧٠٨ اميال في ١٢٦ يوماً على مركبات من المركبات التي تجري على الجليد ووصلت الى الدرجة ٨٨ والدقيقة ٢٣ من العرض الجنوبي والدرجة ١٦٢ من الطول وعينت مركز القطب المغنطيسي في الدرجة ٧٢ والدقيقة ٢٥ من العرض والدرجة ١٥٤ من الطول الشرقي . ورفعت العلم البريطاني في ذينك المكانين . وصعدت

الى بركان اربيوس واكتشفت ثماني سلاسل من الجبال وعينت مراكز نحو مئة قمة. وفوهة اربيوس يبلغ طول قطرها نصف ميل وعمقها ٨٠٠ قدم ويتصاعد منها عمود غازي علوهُ الف قدم

وقد سارت الرسالة في الاوتوموبيل مسافة ٤٠٠ ميل على البحر المتجمد وغادرت رأس روبد في ٢٩ اكتوبر وكان سطح الارض مستوياً والثلج يسد شقوقاً لا يعلم عمقها ولذلك كانوا كثيراً ما يتعرضون لاخطار عظيمة. وقد امسيت خيل منشوريا الصغيرة بالبهر من انعكاس النور عن الثلج فاضطروا ان يقتلوا بعضها في الدرجات الثلاث الاخيرة. وكانوا يكافحون زوابع الثلج كل يوم والريح الصرصر التي تهب بسرعة ٧٠ ميلاً في الساعة. وقد هبطت درجة الحرارة الى ٥٨ تحت الصفر وتورموا من شدة البرد وكانوا يتامون في ثيابهم المصنوعة من جلود الحيوانات. ووصلوا في ٢٦ دسمبر الى نجود مرتفعة علوها عشرة آلاف قدم. فلم يروا جبالاً الى جهة الجنوب. واضطرت البعثة ان تعود بعدما انهكت قواها واصابتها الدوسنطاريا من اكل لحم الخيل وتركت اثنين من رجالها في مكان هناك وجعل الفنتنت شاكلتن ورفاقهُ يبحثون عن صفيحة النرود فوجدوها بالمرايا العاكسة النور ويظن الفنتنت شاكلتن ان القطب واقع في هذه النجود المرتفعة. ولا صحة لما يقال عن هدوء الجو حول القطب. وسمحت فئة اخرى سواحل يوغاز مكردو حتى اكوام الجليد المعروفة باسم دريجالسكي واكتشفت سلسلتين من الجبال مجاورتين للسواحل على عرض ٦٩° ٤٨' وطول ١٦٦° ولم يصب احد بالاسكربوط

خزانة كارنجي

تفنن اللصوص في فتح خزائن الحديد حتى صار يصعب حفظ الاموال والجواهر الثمينة. فصنع الاوريون والاميركيون بيوتاً من الحديد يتعذر على اللصوص فتحها وعلى النيران حرقها وجعلوا فيها مخادع للاشياء يحفظون فيها جواهرهم واموالهم. وامنع ما صنع من هذا القبيل خزانة تسمى خزانة كارنجي وهي صندوقان من الحديد الواحد فوق الآخر طول كلٍّ منهما ١٠٨ اقدام وعرضهُ ٣١ قدماً وعلوهُ ١٠ اقدام وهما مصنوعان من اصلب انواع الفولاذ (الصلب) الممزوج بالنكل ثقلهما ١٤٠٠ طن وسمك فولاذهما خمس بوصات في الجوانب و١٨ بوصة عند الباب والواح الفولاذ ممشقة بعضها ببعض ذكراً في انثى لامسمار ولا لحيم ولكل صندوق باب مستدير ثقلهُ ٢٥ طناً ولكل باب ٢٤ قفلاً على دائره وثقل كل قفل مئة رطل وهي تقفل وتفتح باربع آلات كهربائية داخل

الصندوق وهذه الآلات تفتح الابواب في ساعة معلومة كل يوم ولا تفتحها في غيرها وكل آلة تكفي وحدها لفتح الباب واذا حدث ما يبطل فعلها لم يعد فتحهُ في الامكان مطلقاً

الديانة السورية في رومية

اكتشف تمثال من تماثيل بعل معبود السوريين في رومية ويستدل منهُ على ان عبادة بعل بقيت شائعة في رومية الى القرن الرابع بعد المسيح ثم ابطلت فجأة فاضطر كهنتهُ ان يخفوا تمثالهُ خوفاً من الاضطهاد

دليل الزلازل

دلت مقاييس الزلازل في آسيا واوربا وجنوبي افريقية على حدوث زلزلة كبيرة في ٢٣ يناير الماضي وعينت موقعها في اواسط اسيا من جهة الغرب وقد ثبت الآن ان هذه الزلزلة حدثت في بلاد ايران فدمرت خمسين قرية وقتلت خمسة آلاف من سكانها ولكن موقعها كان متجهاً الى الجنوب اكثر مما دلت مقاييس الزلازل وذلك لان الهزة الاولى لم يصل تأثيرها الى المقياس الذي في جنوبي افريقية

غرس الاشجار

نجد كتب الزراعة متفقة على ان الاشجار التي تغرس اي تنقل من مكان الى آخر يجب الاعتناء بجذورها حتى لا تتلف قبل غرسها ويجب ان تكون الحفرة التي توضع فيها واسعة حتى تبسط فيها الجذور على هيئتها لكن الامتحان العلمي نفى ذلك كلهُ واثبت انهُ اذا جمعت الجذور بعضها مع بعض ودُك التراب عليها دكًّا شديداً كان ذلك اصلح لها واذا تلف بعض جذورها قبل غرسها لم يضرها ذلك بل افادها لان ليس العبرة بالجذور القديمة بل بالجذور الجديدة التي تنبت بعد غرسها . وقد نشرت جريدة نايتشر صوراً فوتوغرافية لاربع شجرات غرست اثنتان منها ولم يكبس التراب على جذورها وغرست اثنتان وكبس التراب على جذورها فنمت الاخريان اكثر مما نمت الاوليان

برج ايفل وتلغراف مركوني

استعمل برج ايفل في باريس للاشارات بتلغراف مركوني وقد وصلت اليهِ الاشارات بالامس من خليج غلاس بكندا والمسافة بينهما ٣٢٥٠ ميلاً ويراد نقل الاشارات اليهِ من املاك فرنسا في الهند الصينية على مسافة ٦٨٠٠ ميل

البعوض والسمك

ان جزائر بربادوس من جزائر الهند الغربية خالية من الحميات الملارية وقد اتضح ان سبب ذلك وجود نوع من السمك الصغير في بركها وغدرانها فان هذا السمك يأكل

يبقى البعوض الذي ينقل عدوى الحميات الملارية . والسمك صغير جدًّا طول الانثى البالغة منهُ بوصة ونصف بوصة والذكر اصغر منها ولما رأت الحكومة الانكليزية ذلك نقلت كثيرًا من هذا السمك الى سائر جزائر الهند الغربية فافاد في استئصال الحمى الملارية منها

علاج ادواء الزراعة

من المعلوم ان الآفات الزراعية التي تصيب المزروعات تبلغ حدًّا محدودًا ثم تقف عندهُ كأن الميكروب الذي يسبب الآفة يتلف نفسهُ حينما لا يبقى لهُ شيء يتلفهُ كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله

والحقيقة انهُ يتولد من الميكروب اخيرًا شيء يضرُّ بهِ ويميتهُ . وقد اشار بعضهم بالانتفاع من هذا الامر فانهُ ربى ميكروبًا من الميكروبات التي تضر بالمزروعات وتركهُ حتى يتولد منهُ السم الذي يميتهُ واستخرج ذلك السم وعالج بهِ المزروعات المصابة بذلك الميكروب لشفائها منهُ . ولا يزال هذا الاسلوب في بدايتهِ والمرجح انهُ يؤدي الى فوائد كبيرة في علاج الآفات الزراعية فعسى ان تنتبه لهُ الجمعية الزراعية الخديوية

اعلى الكباري

ان الجسر (الكبري) الذي صنع فوق نهر زمبيسي في قلب افريقية يبلغ عن سطح الماء ٣٨٠ قدمًا وعن قاع النهر ٤٢٠ قدمًا وطول هذا الجسر ٥٦٠ قدمًا وعرضهُ ٣٠ قدمًا وهو اعلى جسور الانهار

السم في البضائع

توفي بالامس خمسة من الروسيين كانوا مسافرين في قطار بلاد البلجيك وظن انهم مصابين بالكوليرا لان الاعراض التي اصابتهم مثل اعراضها ولكن لما بحث في امعائهم لم يوجد منها شيء من ميكروبات الكوليرا . ثم ثبت من التحقيق ان المركبة التي كانوا فيها كان قريبها مركبة فيها مادة تسمى سليكون الحديد وهي تستعمل بكثرة في مسابك الحديد لعمل الفولاذ (الصلب) وهذه المادة لا ضرر منها اذا كانت جافة ولكنها اذا تبللت تولد منها غاز الميدروجين المفسفر وهو من اشد السموم فعلاً فاذا اختلط الهواء قليلاً منهُ صار سمًّا قاتلاً لمن يستنشقهُ

ترعة الفولاذ

عملت شركة كوم امبو في اعلى الصعيد عملاً هندسيًّا لم نسمع بمثلهِ في بلاد اخرى فانها لما رأت المياه تغور في النوع الاسفل من الارض رملية هناك صنعت ترعة من الفولاذ (الصلب) طولها ٥٢٠٠ قدم وعمقها ١٢ قدمًا وعرضها ٢٠ قدمًا واسفلها كنصف دائرة وسمك حديدها ستة بليسترات اي اكثر من

نصف مستقيم. ولقد عانت اشد المشاق في عملها وتركيبها لان الرياح كانت تسفي الرمال من تحتها فتهبط وحرارة الشمس تمددها فتطول وتقصر تارة او يسرة الى ان تم تركيبها وردمت الارض حولها وجرت المياه فيها

معاهد الراديوم

ذكرنا في الجزء الماضي اهتمام البلاد الانكليزية بانشاء معهد للراديوم في مدينة لندن وقد قرأنا الآن انهُ سينشأ معهد لدرس خواص الراديوم في مدرسة هيدلبرج الجامعة فصير معاهد الراديوم خمسة في باريس ولندن وفينا وبرلين وهيدلبرج

تعقيم الماء بالفضة

ثبت ان القليل من املاح الفضة يعقم الماء حالاً ويميت منهُ كل الميكروبات ثم اذا وصبت الفضة بواسطة الكلوريد عاد الماء صالحاً للشرب . وقد امتحن ذلك في ايطاليا على هذه الصورة عقم الماء ثم زرعت فيهِ ميكروبات مرضية مختلفة كميكروب التيفويد والدفتيريا واضيف الى ماء نقي فيهِ جزء من عشرة آلاف الى جزء من خمس مئة الف جزء من نيترات الفضة فالذي كانت الفضة فيهِ بمعدل جزء من عشرة آلاف جزء لم تتولد فيهِ ميكروبات والذي كانت الفضة فيهِ جزءاً من خمس مئة الف جزء تولدت ميكروبات قليلة جداً فيهِ

ارز لبنان في بلاد الجزائر

كان المظنون في ارز لبنان انهُ خاص بجبل لبنان وانهُ اذا انقرض منهُ انقرض من المسكونة الاَّ اشجار قليلة منهُ زرعت في بعض الحدائق ولكن ثبت الآن ان في بلاد الجزائر حراجاً من الارز مثل ارز لبنان تماماً واشجارها كبيرة جداً . ولا يخفى ان خشب الارز من اصبر الاخشاب على البلى وكان القدماء يصنعون توابيت موتاهم منهُ لانهُ لا يبلى . وقد قال بلنيوس ان رواقد هيكل ابولو في يوتيكا كانت من خشب الارز وقد مرت عليها السنون الطوال ولم يعفرها البلى

السكلوبيديا اليابانية

الَّف علماء اليابان سكلوبيديا بلغتهم اشتغل في تأليفها ٢٣٩ عالماً من علمائهم وستصدر في سبعة مجلدات في كل مجلد منها نحو الف صفحة وقد احتفل الكونت اوكوما بنشر المجلد الاول منها

وفاة اكبر المعلنين

توفي المستر بيرس صاحب الصابون المعروف باسمهِ ولعلَّهُ كان اكبر المساعدين للجرائد والمجلات بما كان ينشرهُ فيها من الاعلانات عن صابونهِ ويقال ان مجموع ما دفعهُ اجرة اعلانات يبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات

قوات الدول الحربية

قلق الانكليز لما علموا ان المانيا تبني البوارج الكبيرة بسرعة فائقة وخافوا ان تلحقهم وتناظرهم مع انها لا تزال الرابعة بين الدول البحرية فان قوات الدول اي محمول سفنها الحربية الكبيرة تحسب هكذا

بريطانيا	١٨٧١١٧٦	طنًا
فرنسا	٨٠١١٨٨	»
اميركا	٧٧٠٤٦٨	»
المانيا	٦٩٣٥٩٩	»
اليابان	٤٤٤٩٠٣	»
روسيا	٣٣٠٠٤٠	»
ايطاليا	٢٨٤٧٧٨	»
النمسا	١٤٨٣٥٠	»

لكن الالمان اعدوا المعدات لعمل البوارج الكبيرة وفاقوا الانكليز في ذلك وشرعوا في عمل اربع بوارج قبل الوقت المحدد لها بستة من السنين

قتل امبراطور الصين

كتب المسيو فرنسيس مري في المجلة الفرنسوية لا رڤي يقول ان امبراطور الصين لم يمت حتف انفه بل انتحر مكرهًا وذلك انهُ لما ثبت ان الامبراطورة قد اشرفت على الموت وانهُ لا امل بشفائها اتفقت هي ووزراؤها على انهُ لا بدَّ للامبراطور ان يموت بموتها فاتاهُ رئيس الخصيان مع اثنين من المقربين واخبروهُ ان الامبراطورة في حالة النزع ووضعوا بين يديه قرصًا من الافيون واوراقًا من الذهب وبندًا من الحرير وقال لهُ رئيس الخصيان انهُ سيأتيه في الغد فاذا وجد انهُ لم ينتحر بشرب الافيون او استنشاق ورق الذهب اضطرَّ ان يخنقهُ ببند الحرير . وعاد رئيس الخصيان في اليوم التالي فوجد الامبراطور ماتيًا على مقعد وقد دخَّن قرص الافيون كلهُ وعرف في حالة النزع فاعلن سفراء الدول انهُ مريض وحالتهُ تنذر بالخطر ثم قبض الساعة الخامسة اما الامبراطورة فلم تمت الَّا بعد اربع وعشرين ساعة

نفقة بناء البوارج

ينفق الانكليز على بناء البارجة الكبيرة التي محمولها ١٨٠٠٠ طن ١٥٢٠٠٠٠ جنيه والالمانيون ١٨٢٠٠٠٠ جنيه والفرنسويون ٢٠٨٠٠٠٠ جنيه

قانون المطبوعات

عادت الحكومة المصرية الى العمل بقانون المطبوعات الذي صدر سنة ١٨٨١ في ما يختص بالجرائد بعد ان اوقفت العمل به سنين كثيرة . وقد التجأت الى ذلك لان بعض الجرائد تعدت كل حد ولان المحكمة برأت بعضها في قضية لم ينتظر احد انها تبرئها منها . ويظهر لنا ان المراقبة على الجرائد والمطبوعات لا تزال في كل البلدان اشد مما صارت الآن في القطر المصري ولقد كانت المراقبة في تلك الايام في العام الماضي اشد

مما صارت اليهِ الآن في القطر المصري مما لا يقدر ومع ذلك كانت الجرائد كثيرة والمطبوعات عديدة . ويقال ان الانكليز تأخروا عن نشر الجرائد في بلادهم الى سنة ١٦٤١ حينما نشرت اول نشرة دورية ثم نشرت اول جريدة يومية سنة ١٦٦٠ وما ذلك الاَّ لشدة المراقبة على المطبوعات حينئذٍ لانهُ لم يكن يجوز طبع شيء مالم يقرأهُ اولاً رئيس اساقفة كنتربري او اسقف لندن . والآن احكام الحاكم هناك على الجرائد صارمة جدًّا ولكنها لا تضر ولا تمنع الانتقاد

النور والنبات

لا يخفى ان النبات يحاول الاتجاه الى النور دائمًا واذا غرست شجرة بين بيوت تحجب عنها اشعة الشمس من جوانبها طالت بين البيوت حتى تقابل اشعة الشمس . وقد زرع بعضهم نباتًا مما ينبسط على الارض عادةً واحاطهُ بما يحجب اشعة الشمس عن جوانبهِ فنهض على اوراقهِ كما ينهض الجالس على رجليهِ لكي يعلو وسطهُ ويقرب من اشعة الشمس

١٤٠ سنة على المركبة البخارية

منذ مئة واربعين سنة صنع المسيو كيونو Cugnot مركبة بخارية سارت في شوارع باريس وكانت سرعتها ميلين ونصف ميل في الساعة وهي اول مركبة بخارية على ما يظهر ثم مرَّت السنون والهمم متجهة الى اتقان قاطرات سكك الحديد لا الى اتقان المركبات البخارية الى ان كانت سنة ١٨٩٣ فصنعت مركبة تسير بآلة فيها (موطركار) قوتها اربعة احصنة . ومن عشر سنوات الى الآن تقدم عمل هذه المركبات اكثر مما تقدم في المئة والثلاثين سنة التي قبلها

مدافع البالون

لم يكد البالون يبلغ درجة من الاتقان يصحُّ معها ان يستعمل في الحرب لرمي القنابل على الجيوش والحصون حتى صنع معمل كروب مدفعًا يرمي قنابلهُ في الجو الى علو شاهق جدًّا ومتى وصلت قنابلهُ الى البالون تكون حامية فتشعل غازهُ وتحرقهُ كلهُ وهي تفعل بالطيارة كما تفعل بالبالون . وقد امتحن هذا المدفع فاطير بالونان صغيران وربما بالقنابل فاصابت احدهما القنبلة الثانية من القنابل التي رمي بها واصابت الثاني القنبلة الخامسة مع ان الريح كانت تعصف شديدًا

اكان غاتي ملهمًا

اثبت المستر فرنل في مقالة كتبها عن غاتي الشاعر الالماني انهُ كان يعتقد بالالهام فاذا جاءهُ الالهام امسك القلم ونظم الاشعار الى ان يملأ الورقة التي بيدهِ . وكان الالهام يأتيهِ احيانًا ليلاً فيزيل همومهُ ويتعش فؤادهُ . ولكن ألا يمكن تعليل ذلك براحة الدماغ وغزارة الدم التي فيهِ

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين

٣١٣ الشؤون العثمانية
٣١٦ مزارع النمل وفنادقهُ
٣١٩ الكسونون او دليل الجنس
٣٢١ الاحتفال بفتح قناطر اسنا . للدكتور فارس نمر
٣٢٧ انتقال الافكار
٣٣٢ الشعر الوصفي . للاستاذ خليل اسكندر المعلوف
٣٣٥ علة الفساد فساد الاعضاء . لجرجس افندي خولي
٣٤٠ المدارس في القطر المصري
٣٤٥ سورية في عصر فولنه
٣٥٠ شمس العدالة في تركيا
٣٥٨ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف (مصوَّرة)
٣٦٣ دولة آل عثمان (مصوَّرة)

---

٣٧١ باب المراسلة والمناظرة * المأمون وعجبي عن اكثم . المحاكمة المالية . تعليم السريانية
٣٩٢ باب الزراعة * المعرض الزراعي والصناعي . الزراعة المصرية منذ مئة عام . الحشرات والافات الزراعية . حقل اشراقي . زراعة الاشجار
٣٩٣ باب التقريظ والانتقاد * تجارة مصر الخارجية . مساحة القطر المصري . المدارس في القطر المصري . التقرير الثالث . كتاب معالج الاضواء . لحمة الانام . ديوان عبد الرحيم افندي شكري . كتاب الاشتقاق والتعريب . تاج العروس الهادي لمذهب النفوس . دوالي القطوف . الحرية والمساواة والمبعوثان
٤٠٤ باب المسائل * النور المغنطيسي . تعليم الشعوب . استطاعة الشعوب . التعليم بالمراسلة . مخترع الساعات . النصرانية والرأي السديد . لزوم الشرع من المشرع . مصدر الآداب . العصر الجليدي . جزيرة لوط . جنس المجنون
٤٠٩ باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٤ بدعة